٣

كتاب التوحيد

دراسات في
الفكر السياسي للامام الخميني

الشيخ محمد مهدي الآصفي
السيد محمد حسين فضل الله
يونس حسين
يحيى كريستيان
الدكتور فتحي الشقاقي
الدكتورة زهراء المصطفوى

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسات في
الفكر السياسي للامام الخميني

كتاب التوحيد

سلسلة دورية تصدر عن مجلة التوحيد

المراسلات

باسم رئيس التحرير على احد العنوانين :

● الجمهورية الاسلامية في ايران ● لبنان

قم ـ ص . ب ٣٦٥١ ـ ٣٧١٨٥ بيروت ـ ص.ب ١٧٩ / ٢٥ الغبيري

كتاب التوحيد
٣

دراسات في
الفكر السياسي للامام الخميني

الشيخ محمد مهدي الآصفي | السيد محمد حسين فضل الله
يونس حسين | يحيىٰ كريستيان
الدكتور فتحي الشقاقي | الدكتورة زهراء مصطفوي

السنة الثانية ـ الكتاب الثالث

الطبعة الاولىٰ ـ صفر ١٤١٦ هـ / حزيران ١٩٩٥م

تقديم

بقلم: رئيس التحرير

الامام الخميني (رض) تجسيد فريد للشخصية الاسلامية المعاصرة، المتكاملة في جميع أبعادها. وهذا التكامل هو الميزة التي يتفرد بها الامام عن جميع رموز الاجتهاد والنهضة والاصلاح الاسلامي، في القرون الماضية بشكل عام، والقرنين الأخيرين بشكل خاص، إذ جمع بين المرجعية الدينية العليا في الفتوىٰ والتقليد، وقيادة الامة والثورة والدولة، وبين وجهي العرفان: النظري والعملي، وبين السياسة والعقيدة والعبادة، وغيرها. وهذه الابعاد يكمل احدها الآخر، وهي ـ بمجموعها ـ كلٌّ لايتجزء، يسير باتجاه واحد وهدف واحد وغاية واحدة. والغاية تكمن في نقطة واحدة ايضاً: تحقيق هدف الله تعالىٰ في استخلاف الانسان علىٰ الأرض، وفي النتيجة: تحقيق مرضاته ولقائه. وقد كان الامام الخميني بليغاً للغاية في التعبير عن سلوكه العملي من خلال فكره، وعن فكره من خلال سلوكه العملي. وتلك الأبعاد المتكاملة لشخصيته، والمتجسّدة في سلوكه وفكره، هي مايطلق عليه «نهج الامام».

و«نهج الامام» ليس شرعاً جديداً، ولاخطاً مذهبياً أو عقيدياً جديداً في الاسلام،بل انه ـ بكلمة واحدة ـ الاسلامالأصيل..اسلام رسول الله(ص) واهل بيته (ع). فالامام(رض) بلور الفكر الاسلامي الأصيل في نهج عملي يراعي خصوصيات الزمان والمكان.حتىٰ مكّنته نهضته الشاملة ـ المعبّرة عن نهجه ـ من اخضاع الواقع للشريعة،واعادة تحكيمها بعد غياب طويل.

ان نهضة الامام، والانجازات الفريدة التي حققها، وعمق نظريته، وما خلّفه من نهج متميز في الحياة، لاتزال مدعاة للجميع لفهم الامام أكثر فأكثر. وبرغم الكم الهائل من الدراسات والقراءات التي تمخضت عن مئات الدوريات والكتب والحلقات الدراسية والندوات والمؤتمرات، التي بادر الىٰ نشرها وعقدها أبناء «نهج الامام» وأصدقاؤه واعداؤه والمحايدون تجاهه، مسلمون وغير مسلمين، الاّ أنّ أحداً لايمكنه الزعم بأنه استوعب جميع افكار الامام ونهجه ونهضته. فبعد كل جهد ناجح ـ في هذا المجال ـ تكتشف أشياء جديدة في الامام، هي الاخرىٰ جديرة بالبحث والمعرفة والتأمل وهذا لايعني ان الامام (رض) شخصية مبهمة أو مرموزة، أبداً، بل لأنها واسعة الأبعاد، وعميقة الغور..

من هنا تأتي الدعوة للتخصص في كل بعد من ابعاد شخصية الامام، رغم صعوبة الفصل بينها ـ كما ذكرنا ـ إذ يمكن تحليل كل بُعد موضوعياً، وتفسيره وبلورة النظريات فيه. فالفقهاء وعلماء الدين ـ مثلاً ـ يحللون البعد الفقهي والعلمي، والعرفاء، البعد الذي يعنيهم، وهكذا علماء السياسة

والقانون والاجتماع، وغيرهم. ومن خلال صهر مجموع هـذه التـحليلات والدراسات في بوتقة واحدة، يمكن الخروج بـنتاج مـتكامل عـن «نهـج الامام».

ومن منطلق التحليل الموضوعي، خصصنا هذا الكتاب (الثالث من سلسلة «كتاب التوحيد» الدوري) لدراسة النهج السياسي للامام، نظرية وتطبيقاً. علىٰ أمل تخصيص اعداد قادمة من السلسلة في ابعاد اخرىٰ من نهج الامام. فموضوع دراسات الكتاب الذي نضعه بين ايدي القراء الكرام؛ هو النظرية السياسية في الاسلام، بأصالة مصادرها ونقاء منهجها، وبخطابها المعاصر، كما بلورها الامام الخميني وطبّقها علىٰ أرض الواقع.

والفكر السياسي الاسلامي، وخطابه المـعاصر، همـا أحـد محـاور البحث المهمة التي طرحتها ورقة عمل مشروع «كتاب التوحيد». وتـبقىٰ صفحات الكـتاب والمجـلة مـفتوحة لأصـحاب الاخـتصاص والاهـتمام للاستمرار في اغناء الموضوع واشباعه.

تدخل الفصول الستة لهذا الكتاب في اطار قسمين رئيسين، احدهما يبحث ملامح الفكر السياسي الاسلامي للامام ونهجه في العمل السـياسي بشكل عام، فيما يعالج القسم الآخر قضيتين ـ كـانموذجين ـ لهـما مـوقعهما الخاص في نهج الامام، هما القضية الفلسطينية وقـضية المـرأة. وبـرغم ان الفصول كتبتها اقلام متعددة، في اوقات مختلفة، الاّ انها جـاءت مـتناسقة ومتجانسة في عرض الفكرة والموضوع، بصورة مكّنت الكتاب ـ الىٰ حد

كبير ـ من استيعاب الملامح العامة لنهج الامام السياسي. والعامل الآخر الذي ميّز مادة الكتاب بالعمق والتركيز في الطرح، كتّابه، وهم نخبة من المفكرين أو الباحثين الاسلاميين البارزين، ممن درس فكر الامام دراسة مستفيضة ومعمقة.

واستثمر فرصة الحديث عن هذا الكتاب، لأُشير الىٰ الاهتمام والعناية اللذين حظي بهما مشروع «كتاب التوحيد» بعد صدور كتابيه الأول (الدولة الاسلامية) والثاني (الاسلام والغرب)، ولاسيما من قبل المتخصصين والمثقفين والصحافة الاسلامية. فقد احصينا ـ مثالاً ـ ستة عشر عرضاً وتعريفاً ومناقشة لمضامين الكتاب الأول، في الصحافة الاسلامية. والحقيقة ان هذا الاهتمام بات دافعاً جديداً للمشروع للمزيد من العطاء، وحث الخطىٰ باتجاه الاهداف. كما انه يزيد من ثقل المسؤولية التي أخذ «كتاب التوحيد» علىٰ نفسه مهمة حملها. ومن الله التوفيق.

٤ حزيران / يونيو ١٩٩٥

الفصل الاول

الامام الخميني و نظرية الفكر السياسي الاسلامي المعاصر

يونس حسين

لقد استطاع الامام الخميني (رض) أن يحدث يقظة وصحوة في الفكر السياسي الاسلامي المعاصر، وأن يطلق حركته نحو الأمام ويحرره من كثير من القيود والاغلال التي كانت تكبله، ويفتح له آفاقاً واسعة نحو بناء المستقبل الاسلامي في ظل الحكومة الاسلامية.

ومعرفة أبعاد هذا الامر تتحدد من خلال دراسة الظروف السياسية والاجتماعية للواقع الاسلامي والمنطقة التي انتصرت فيها الثورة الاسلامية ، وهي ايران، التي كانت ينظر اليها في العرف السياسي أنها أقوى واكبر قلعة عسكرية في منطقة الشرق الاوسط، وسادس أكبر قوة عسكرية في العالم. وجهازها الأمني المعروف باسم «السافاك» كان يعتبر من أقوى وأوحش أجهزة المخابرات في الشرق الأوسط. وبلحاظ الكثير من الحسابات المادية والموازين المتعارف عليها في المنطق الدولي، ماكان أحد يتوقع ان ثورة

تـنتصر في ايـران بـالذات، والتي وصـفها الرئـيس الامـريكي الاسـبق «جيمي كارتر» في زيارة له لايران أيام الشاه المقبور بـ «جزيرة الاستقرار في بحر هائج». وعنصر الجغرافيا هذا جعل الثورة اكثر تاريخية، وأنها بدايـة لحقبة تاريخية جديدة على المستوى الاسلامي وحتى الدولي.

والسؤال الذي يطرح على طاولة البحث هو: ماهي أبعاد التغيير التي أحدثها الامام الخميني (رض) في الفكر السياسي الاسلامي المعاصر؟

يمكن دراسة بعض أبعاد التغيير في المسـائل والمجالات التالية:

١ـ تطوير نظرية التغيير الاجتماعي والسياسي:

من أهم وأبرز اشكاليات الفكـر السـياسي الاسـلامي المـعاصر، إشكالية منهجية التغيير الاجتماعي والسياسي في المـجتمع. وليس التـيار الاسلامي الذي يعاني من هذه الاشكالية فحسب بل حتى التيار القـومي العربي مع كثرة تنظيراته في هذا الحقل بالذات (تظل الاشكالية المركزية في الفكر العربي المعاصر هي اذن إشكالية النهضة بثنائياتها الحـادة المـعربدة والمتعارضة. بينما تظل بؤر الخلاف والاختلاف قائمة في الوسائل والسبل التي يحتاجها الخطاب النهضوي الاصلاحي الغربي لتحقيق الترقي والاصـلاح والنهضة. فالمثقف النهضوي الليبرالي لم ينفك يلح، وهو يستعرض محاسن اوروبا ومواطن السمو فيها، على ان لاسبيل الى تحصيل الترقي إلاّ بالأخذ بأسباب التمدن الاوروبي، أي الأخذ بقيم العقل والعـلم وقـواعـد الحكـم

العصرية، والضرب صفحا عن كل النظم العقلية والمادية والسياسية الموروثة عن تاريخ يبدو كله انحطاط وتقهقر)[1].

ونظرية التغيير الاجتماعي والسياسي قبل الثورة الاسلامية كانت تعاني إشكالية الغموض والابهام والكليّة، وانها لم تكن متبلورة بصورة تفصيلية، ولم تكن هناك موازنات دقيقة بين المناهج المختلفة في عملية التغيير.

وبانتصار الثورة الاسلامية في ايران بقيادة الامام الخميني (رض) طرحت نظرية التغيير وكيفية النهضة الاسلامية على مختلف تيارات الحركة الاسلامية والشريحة المفكرة من الاسلاميين، وحتى خارج دائرة التيار الاسلامي عند القوميين مثلاً وغيرهم. وكان من الضروري دراسة وتحليل منهج التغيير وتطويره وبلورة معالم الاستراتيجيات، وتوضيح بعض التفاصيل والجزئيات الاساس على ضوء انتصار الثورة الاسلامية في ايران باعتبارها تجربة حيّة وناجحة.

ومن الاشكاليات التي عالجتها الثورة في نظرية التغيير؛ إشكالية النخبة، والدور الجماهيري، ودور رجال الدين السياسي والثوري، ومسألة القيادة الاسلامية ودورها المركزي في عملية الثورة وما أشبه ذلك.

كما أن كيفية إدارة الإمام الخميني (رض) لحركة الثورة الاسلامية والتي اتسمت بالحزم والشجاعة والتضحية والحكمة بحاجة الى دراسة

معمقة في الفكر السياسي الاسلامي المعاصر لكي يتوصل الى نظرية ومنهج واضح المعالم في عملية ادارة الثورات وقيادة الشعوب نحو النهضة الشاملة والاصلاح الجذري.

ولاشك في أن نظرية التغيير الاجتماعي والسياسي عند الاسلاميين الآن هي انضج واعمق مما كانت عليه قبل انتصار الثورة الاسلامية في ايران. وهذا يدل على جانب التطوير والتقدم في هذه النظرية.

٢ـ الاسلاميون ومسألة الحكم الاسلامي:

مسألة النظام السياسي الاسلامي تشكل حجر الزاوية في الفكر السياسي الاسلامي، والتي كانت تفتقر الى معالجات معمقة من الاسلاميين خلال الحقب التاريخية الماضية.

وبالتأكيد هناك تحول فكري سياسي واضح في مسألة النظام السياسي الاسلامي قبل الثورة الاسلامية في ايران وبعدها. وان انتصار الثورة الاسلامية في ايران، ووصول الحركة الاسلامية الى سدة الحكم، وادارة النظام السياسي، يعتبر اكبر واعظم انجاز استراتيجي في تاريخ الحركة الاسلامية الحديثة.

وخلال عقود ماضية كانت هناك حالة تشكيك في قيام حكم اسلامي حقيقي في قطر من الاقطار الاسلامية، فكان بعضهم ينظر الى هذه القضية من زاوية الحُلُم والأُمنية. هذا في داخل الإطار الاسلامي، أمّا على

مستوى التيارات الفكرية الدخيلة فكانت تنظر إلى أن الاسلام يـفتقر الى النظام السياسي، ولاتوجد له نظرية في مسألة الحكم وادارة الدولة، وكل ماهو موجود عبارة عن توجيهات وارشادات روحية وأخلاقية قد تتصل بالجانب السياسي من بعيد. ومع انتصار الثورة الاسلامية في ايران انقلبت كل هذه المفاهيم جـذرياً وغُـيّبتْ عـن السـاحة الفكـرية والسـياسية، وأصبحت الشعوب الاسلامية الناهضة بأجمـعها تـطالب بـقيام حكـومة اسلامية في ساحتها، ودخلت حلبة الصراع ومعركة التحدّي سعياً وراء هذا الطموح الذي يرجع لها بحق استقلالها وحريتها وكرامـتها وعـدالتهـا التي افتقدتها خلال قرون من الزمن الغابر.

ولقد طرح الامام الخميني (رض) فكرة الحكومة الاسـلامية قـبل الثورة الاسلامية، وعمل من اجل تطبيقها ورفع الشبهات حولها وبـلورة نظرية سياسية اسلامية. وقدّم دروساً حول الحكومة الاسلامية خلال فترة وجوده في العراق وألقاها على طلبة العلوم الدينية في النجف الاشرف عام ١٣٨٩ هـ.

ومما جاء في بعض هذه الدروس:

«من الأفكار التي نشرها الاستعماريون في أوساطنا قولهم لاحكومة في التشريع الاسلامي... لامؤسسات حكومية في الاسلام، وعـلى فـرض وجود أحكام شرعية مهمة فإنها تفتقر الى مايضمن لها التنفيذ، وبـالتالي

فالاسلام مشرع لاغير. ومن الواضح ان هذه الاقاويل جزء لايتجزأ من الخطط الاستعمارية، يراد بها إبعاد المسلمين عن التفكير في السياسة والحكم والادارة. هذا الكلام يخالف معتقداتنا الأولية. نحن نعتقد بالولاية، والايمان بضرورة تشكيل الحكومة، وايجاد تلك المؤسسات جزء لايتجزأ من الايمان بالولاية، والعمل والسعي من أجل هذا الهدف هو مظهر من مظاهر ذلك الايمان بالولاية»(٢).

وحول طبيعة النظام السياسي الاسلامي أشار الامام الى ذلك بقوله «الحكومة الاسلامية لاتشبه الأشكال الحكومية المعروفة. فليست هي حكومة مطلقة يستبد بها رئيس الدولة برأيه عابثاً بأحوال الناس ورقابهم. فالرسول (ص) وأمير المؤمنين علي (ع) وسائر الائمة كانوا يعبثون بأموال الناس ولابرقابهم.

فحكومة الاسلام ليست مطلقة وإنما هي دستورية ولكن لا بالمعنى الدستوري المتعارف عليه الذي يتمثل في النظام البرلماني أو المجالس الشعبية، وانما دستورية بمعنى أنّ القائمين بالأمر يتقيّدون بمجموعة الشروط والقواعد المبينة في القرآن والسنة، والتي تتمثل في وجوب مراعاة النظام وتطبيق أحكام الاسلام وقوانينه، ومن هنا كانت الحكومة الاسلامية هي حكومة القانون الإلهي. ويمكن الفرق بين الحكومة الاسلامية والحكومات الدستورية (الملكية منها والجمهورية) في أن ممثلي الشعب أو ممثلي الملك هم

الذين يقنّنون ويشرّعون في حين تنحصر سلطة التشريع بالله عـزّوجل، وليس لأحد -أيّاً كان- أن يشرّع وأن يحكم بما لم ينزل الله به من سلطان. لهذا السبب فقد استبدل الاسلام بالمجلس التشريعي مجلساً آخر للتخطيط يعمل على تنظيم سير الوزارات في أعمالها وفي تـقديم خـدماتها في جمـيع المجالات.

وكل ماورد في الكتاب والسنة مقبول مطاع في نظر المسلمين، وهذا الانصياع يسهل مسؤولياتها في حين ان الحكومات الدستورية الملكية أو الجمهورية اذا شرعت الأكثرية فيها شيئاً فإن الحكومة بعد ذلك تعمل على حمل الناس على الطاعة والامتثال بالقوة إذا لزم الأمر»(٣).

٣ـ جدلية العلاقة بين السياسة والدين:

هذه الجدلية الفكرية السياسية كانت محركا لكثير من الصراعـات الفكرية والسياسية في داخل المدرسة الاسلامية تارة، وأُخرى بينها وبين المدارس الفكرية الوافدة.

ومع أن هذه الجدلية والعلاقة قد مضى عليها زمن طويل وتخللتها عقود تاريخية لكنها لازالتا ساخنتين حتى في داخل الساحة الاسـلامية. فهناك بعض الاتجاهات التي تحمل فكرة أن من السياسة أن تترك السياسة، أو من يعتقد بأن السياسة والعمل السياسي تخل بالاخلاق وتجعل الانسان يعمل مايناقض الأخلاقيات. او هناك من يحمل في نفسه عقدة من السياسة ـ

حتى قال أحدهم: «أعوذ بالله من السياسة، ومن لفظ السياسة، ومن معنى السياسة، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة، ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة، ومن كل ارض تذكر فيها السياسة، ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يجن أو يعقل في السياسة، ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس»(٤).

وقد ركز الامام الخميني كثيراً على هذه القضية الحسّاسة قبل الثورة الاسلامية وبعدها بقوله:

«المستعمرون قبل اكثر من ثلاثة قرون أعدّوا أنفسهم وبدأوا من نقطة الصفر فنالوا ما ارادوا. لنبدأ نحن الآن من الصفر. لاتُمكّنوا الغربيين وأتباعهم من أنفسكُم. عرّفوا الناس بحقيقة الاسلام، كي لايظن جيل الشباب أن أهل العلم في زوايا النجف وقم؛ يرون فصل الدين عن السياسة، وانهم لايمارسون سوى دراسة الحيض والنفاس ولا شأن لهم بالسياسة. المستعمرون أشاعوا في المناهج المدرسية ضرورة فصل الدين عن الدولة وأوهموا الناس بعدم أهلية علماء الاسلام للتدخل في شؤون السياسة والمجتمع. وردّد هذا الكلام أذنابهم وأتباعهم.

في عصر النبي (ص) هل كان الدين بمعزل عن السياسة؟ هل كان يومذاك مختصون بالدين وآخرون مختصون بالسياسة؟ وفي زمن الخلفاء وفي زمن أمير المؤمنين علي (ع) هل فصلت السياسة عن الدين؟ هل كان يوجد

جهاز للدين وجهاز آخر للسياسة؟ لقد تفوّه المستعمرون وأذنابهم بهذه العبارات كي يبعدوا الدين عن أمور الحياة والمجتمع ويبعدوا ضمنا علماء الاسلام عن الناس، ويبعدوا الناس عنهم، لأن العلماء يناضلون من أجل تحرير المسلمين واستقلالهم وعندما تتحقق أُمنيتهم في هذا الفصل والعزل يستطيعون أن يذهبوا بثرواتنا ويتحكّموا فينا.

وأنا أقول لكم إنه إذا كان همّنا الوحيد أن نصلي وندعو ربنا ونذكره ولا نتجاوز ذلك فالاستعمار وأجهزة العدوان كلها لاتعارضنا. ماشئت فصلّ.. ماشئت فأذّنْ، وليذهبوا بما آتاك الله والحساب على الله ولاحول ولاقوة إلاّ بالله، وعندما نموت فأجرنا على الله. وإذا كان هذا تفكيرنا فلاشيء علنيا ولاخوف علينا.

قيل إن أحد قادة الاحتلال البريطاني للعراق حينما سمع المؤذّن سأل عن الضرر الذي يسببه هذا الاذان للسياسة البريطانية فلمّا أُخبر بأنه لاضرر من ذلك قال: فليقل ماشاء مادام لايتعرض لنا. وأنت إذا كنت لاتمس السياسة الاستعمارية وكنت في دراستك للأحكام لاتتجاوز النطاق العلمي فلاشأن لهم معك. صلّ ماشئت... هم يريدون نفطك... أيّ شأن لهم بصلاتك... هم يريدون معادننا... يريدون أن يفتحوا أسواقنا لبضائعهم ورؤوس أموالهم. لذا نرى الحكومات العميلة تحول دون تصنيع البلاد مكتفية في بعض الأحيان بمصانع التجميع لاغير... هم يريدون ان لانرتفع

الى مستوى الآدميين لأنهم يخافون الآدميين، وإذا وجدوا في مكان ما آدميا فهم يرهبونه، لأن هذا الآدمي تقدُّمي متطور يستطيع التأثير في الناس والمجتمع تأثيراً يهدم جميع مابناه العدو، ويزلزل الأرض من تحت عروش الظلم والخيانة والعمالة، ولهذا فإنّهم إذا وجدوا آدمياً في وقت من الأوقات آئتمروا به ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه أو يتّهموه بأنه سياسي. هذا العالم سياسي ولكن الم يكن رسول الله (ص) سياسياً؟ هل في ذلك عيب؟ كل ذلك الكلام يقوله العدو وعملاؤه ليبعدوكم عن السياسة وعن التدخل في شؤون المجتمع. ويمنعوكم من مكافحة سلطات الخيانة والجور ليصفو لهم الجو فيعملوا ماشاءوا وينهبوا ماشاءوا من غير معارض او عائق»(٥)

٤ـ علماء الدين والعمل السياسي:

خلال الحقب التاريخية الماضية حصل انكماش وتراجع واضحان في حجم ومساحة النشاط السياسي لعلماء الدين. وبعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران انطلق النشاط السياسي لعلماء الدين، وأخذ يشغل مساحات كبيرة، وشهد تقدُّماً ملحوظاً كان له أثره البالغ والكبير على حركة الصحوة الاسلامية الناهضة في كل مناطق العالم الاسلامي.

والخطوة المتقدمة تحققت في ايران الثورة حين تصدّى رجال الدين المجاهدون لإدارة المؤسسات السياسية والأجهزة العسكرية والمنظمات الاجتماعية بل لقيادة النظام السياسي. وبالطبع فإن هذه المتغيرات تنعكس

ايجابيا على تحولات الفكر السياسي عند المسلمين خصوصاً مع تـراكـم التجربة وتبلور الخبرة العملية. وكثير من الاشكاليات الحادة والعـالقة في مجال العمل السياسي لعلماء الدين تمت معالجتها بعد التحولات التي حصلت في فكر المسلمين السياسي.

فالافكار التي كانت تدور حول اقتصار حـركة عـلماء الديـن في الابعاد الروحية والأخلاقية والفقهية في داخل المجتمع قد تزلزلت وضعفت كثيراً حتى بدأ المجتمع ينتقد هذا الدور الضيق والاقتصار عليه.

وقد نبه الامام الخميني (رض) لهذه المسألة في خطبه وبياناته حيث قال: «لكن الأعداء أظهروا الاسلام بغير هذا المظهر فقد رسموا له صـورة مشوّهة في أذهان العامة من الناس، وغرسوها حتى في المـجامع العـلمية، وكان هدفهم من وراء ذلك إخماد جذوته وتضييع طابعه الثوري الحيوي، حتى لا يفكر المسلمون في السعي لتحرير أنفسهم وتنفيذ أحكام دينهم كلها، عن طريق تأسيس حكومة تضمن لهم سعادتهم في ظل حياة انسانية كريمة.

فقالوا عن الاسلام إنه لا علاقة له بتنظيم الحياة والمجتمع أو تأسيس حكومة ومن أي نوع بل هو يعنى فقط بأحكام الحيض والنفاس، وقد تكون أخلاقيات ولا عليك بعد ذلك من أمر الحياة وتنظيم المجتمع شيئاً. ومـن المؤسف أن تكون لهذا كله آثاره السيئة ليس في نفوس عامة الناس فحسب، بل لدى الجامعيين وطلبة العلوم الدينية أيضاً فهم يخطئون فهمه ويجهلونه

حتى لقد عاد بينهم غريباً»(٦).

ويقول أيضاً:

«ولكن الأجانب وسوسوا في صدور الناس، والمثقفين منهم خاصة، أن الاسلام لايملك شيئاً... الاسلام عبارة عن مجموعة أحكام الحيض والنفاس... طلبة العلوم الدينية لايتجاوزون في تخصصهم هذه المواضيع. صحيح أن بعض الطلبة لايهتم بأكثر من هذا، وهم مقصّرون، وفي هذا مايعين الأعداء أحياناً على نيل مقاصدهم، وفي هذا مايدعو إلى إبتهاج المستعمرين الذين عملوا منذ مئات السنين على غرس بذور الاهمال في مجامعنا العلمية وصولاً الى أهدافهم فينا وفي ثرواتنا وخيرات بلادنا»(٧).

٥ـ تطوير نظرية القيادة الاسلامية السياسية:

لاشك في ان تحديد صيغة القيادة من أهم وظائف المبدأ الذي يتكفل مسؤولية اسعاد الانسان، وذلك لأن القيادة تعكس حضارة الأُمة وتبرز روح نظامها، كما تعطي فكرة جامعة عن فلسفتها في الحياة. مضافاً الى أنها تضمن انطلاقة الأُمة واستقامة مسيرتها في الحياة(٨).

تحتل مسألة القيادة موقعاً متقدماً وتأتي على رأس القمة في الفكر السياسي الاسلامي. ولقد كان الامام الخميني (رض) نموذج القيادة الاسلامية الناجحة في حركتها السياسية، والتي استطاعت مؤهلاتها وقدراتها القيادية أن تقود الشعب الايراني المسلم إلى شاطئ الانتصار.

وكل الدارسين والمحلّلين لأحـداث الثـورة الاســلامية مـن الاســلاميين السياسيين والاعلاميين يتفقون على أن عامل القيادة المـتمثل في الامـام الخميني كان فاعلاً ومركزياً في الانتصار.

وجانب التطوير في نظرية القيادة الاسلامية السياسية هو مرحـلة القيادة في إدارة الحكم والنظام السياسي. فقد كان هناك نقص وضعف في دراسة هذا الجانب من القيادة الاسلامية وهو من الجوانب المهمة والاساس، ومع وجود تجربة واقعية تتمثل في الحكم الاسلامي في ايران فان هذا يساعد على تطوير نظرية القيادة الاسلامية في مرحلة إدارة الحكم الاسلامي. وقد لاحظنا أن الدراسات الفكرية والسياسية التي صدرت بعد الثورة الاسلامية في ايران كانت تصب في هذا الحقل الذي سدّ الكثير من الفراغات في الفكر السياسي الاسلامي.

من جهة اخرى ان تطوير نظام القيادة الاسلامية يساعد على انضاج الفكر السياسي الاسلامي وتعميقه.

هوامش الفصل الاول

١- مجلة المستقبل العربي، العدد ١٢٣، سنة ١٩٨٩م.
٢- الخميني، الامام آية الله، الحكومة الاسلامية، ص ١٨.
٣- المصدر السابق، ص ٤١.
٤- الموسوي، محسن، افاق المستقبل في العالم الاسلامي، ص ٢١٧.
٥- الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ٢٠.
٦- المصدر نفسه، ص ٨.
٧- المصدر نفسه، ص ١١.
٨- كاظم، جواد، القيادة الاسلامية، ص ٧.

الفصل الثاني

خط الامام الخميني

الشيخ محمد مهدي الآصفي

من أهم مكاسب الثورة الاسلامية ظهور خط سياسي اسلامي، يعبّر عن مواقفنا الاستراتيجية السياسية والجهادية، ويرتبط بمواقعنا واصولنا الفكرية والايمانية، وذلك هو خط الامام الخميني (رض)، قائد الثورة الاسلامية الكبرى في عصرنا ومؤسس الجمهورية الاسلامية.

ولاشك ان ظهور خط الامام حدث سياسي مهم، يستحق دراسات واسعة وتحقيقية. فلأول مرة في العصر الحاضر يكون لجهادنا السياسي، خط سياسي محدد المعالم، واضح الاتجاه.

وقد ظهر مصطلح «خط الامام» لأول مرة عند احتلال السفارة الامريكية، من قبل الطلبة المسلمين، الذين سموا أنفسهم بـ«الطلبة السائرين على خط الامام» ومنذ هذا التاريخ دخل هذا المصطلح في قاموس الثورة إلاّ ان مضمون خط الامام، والمحتوى السياسي والفكري لهذا المصطلح كان موجوداً في عمق الثورة، قبل ذلك بزمان بعيد.

لقد جمعت الثورة في مسيرتها كل الغاضبين والناقمين على النظام الشاهنشاهي في بداية السير من أقصى اليمين الى أقصى اليسار، وكان للنظام الملكي أعداء ومناوئون سياسيون كثيرون، جمعتهم الثورة الشعبية العارمة. وكلٌّ يمنّي نفسه أن يحتوي الثورة، بعد أن تُحقِّقَ هدفها، وتُسقط النظام الملكي العتيد.

ورغم ان قيادة الثورة كانت خلال المسيرة للامام الخميني (رض) بلا منازع، فقد كانت الثورة تستوعب كل الأطراف السياسية المعارضة للشاه، على أمل ان تحقق الثورة سقوط النظام لتبدأ الجولة الثانية من الصراع السياسي الحاد، لاستيعاب واحتواء الثورة.

فلما حققت هدفها وسقط النظام الملكي تحت أقدام الشعب الثائر، وسحبت تماثيل الملك من الساحات والميادين، بدأ صراع جديد حول القيادة الجديدة، التي تخلف النظام الملكي، ودخل الحزب الشيوعي، والأحزاب اليسارية الماركسية، والأحزاب الوطنية، والجماعات الاسلامية - الماركسية، والأحزاب القومية في المعترك السياسي، لاحتواء الثورة، أو تقسيم الميراث، وأخذ الصراع شكلاً حقيقياً، ولولا هيمنة الشارع الاسلامي على الثورة وقوة ونفوذ قيادة الامام، لكان الصراع يأخذ شكلاً مخيفاً.

وفي هذه المرحلة تمايزت الخطوط السياسية، وتميّز من بين هذه

الخطوط «خط الامام» خطاً سياسياً واضح المعالم والاتجاه، واجتذب هذا الخط، دون سائر الخطوط، جماهير الامة، وعزل سائر الخطوط عن الساحة السياسية.

ولسوف نتناول في هذه المقدمة تاريخ وخصائص ومكاسب وضريبة وقيمة ومعالم ومصادر خط الامام بشكل موجز ان شاء الله تعالى.

لمحة تاريخية

في غفلة من أجهزة الرصد السياسي للاستكبار العالمي - الشرقي والغربي - كان ينمو في العالم الاسلامي وعي سياسي اسلامي أصيل، وبصورة هادئة، وهيّأ الله تعالى لهذا الوعي السياسي أن ينمو نمواً سويّاً، ويأخذ حظه من النضج. فقد تكوّن هذا الوعي على شكل صحوة سياسية، في العالم الاسلامي في الطبقة المؤمنة المثقفة بصورة محدودة، ثم تحوّل الى وعي سياسي وتوسعت مساحته، وشملت مساحات كبيرة من الامة، وتحول في جسم الامة الى حركة واعية باتجاه عودة الاسلام الى الحياة من جديد وتفاعلت هذه الحركة في جسم الامة وتحولت الى انتفاضة شاملة في ايران، والعراق، ومصر، والاردن، والسودان، وباكستان، وأكثر الأقاليم الاسلامية.

وقد نجح الاستكبار العالمي في امتصاص هذه الانتفاضات الاسلامية والجماهيرية، في بعض الأقطار بخبث وذكاء، وأخفق في أقطار

اخرى، فاستعمل العصا، والعصا في حساب الحكام الورقة الأخيرة التي ليس وراءها ورقة اخرى.

وتحولت هذه الانتفاضة الى ثورة اسلامية هزت أمواجها العروش والتيجان والمعادلات السياسية في المنطقة، واجتذبت اهتمام كل المسلمين وكل المحرومين، وأخذ الناس في العالم يتابعون أخبار الثورة الاسلامية باهتمام وحرص حتى شاء الله ان تفلح الثورة في اقامة أول دولة اسلامية في العصر الحاضر.

وأصبحت هذه الدولة المباركة موضع أمل عامة المحرومين والمستضعفين من المسلمين وغيرهم، وأصبح هذا الكيان رغم حداثته يهدد كل الكيانات السياسية التقليدية القائمة على العمالة الشرقية والغربية أو المزدوجة. وبدأ التفاعل الجماهيري مع الثورة الاسلامية والدولة الاسلامية المباركة يتصاعد في العراق وفي الخليج والسعودية ولبنان بشكل غير اعتيادي، مما حرّك جرس الانذار للحكام في المنطقة ولأسيادهم خارج المنطقة، فتكالبت القوى الاستكبارية العالمية وفي مقدمتها امريكا ثم فرنسا لمضايقة ومحاصرة هذه الثورة والدولة الاسلامية المباركة.

فزرعوا أمام الدولة المباركة عقبات وألغاماً ومتاعب ومشاكل سياسية واقتصادية وعسكرية، كان آخرها الحرب التي أثارها النظام العراقي ضد الجمهورية

الاسلامية.

وكان علىٰ هذه الدولة المباركة أن تجـتاح هـذه العـقبات واحـدة بعداخرى وتنتهي من عقبة اقتصادية لتدخل اخرى سياسية، وتنتهي من عقبة سياسية، لتبدأ باجتياز اخرى عسكرية، وقد كان يتزامـن في وجـه الدولة المباركة أكثر من عقبة داخلية وخارجية في وقت واحد.

وتجاوزت الثورة والدولة المباركة هذه العقبات، بحول الله تـعالى، وتأييده، بتوفيق ونجاح منقطع النظير.

وخلال هذه التحولات، والانقلابات، والأحداث الكبرى الخطيرة، والمواجهات الجادة السـياسية والعسكـرية والاقـتصادية، والابـتلاءات الصعبة، تنامىٰ داخل الامة خط سياسي حركي وفكري وجهادي، يشكل استراتيجيتنا السياسية والجهادية، وينبع من الاصـول العـميقة لتـفكيرنا الاسلامي، وذلك هو «خط الامام».

وهذا الخط في اصوله التاريخية المـعاصرة، هـو الوعـي السـياسي الاسلامي نفسه، الذي اجتاز هذه المراحل السياسية، والجـهادية، خـلال نصف قرن من الزمان تقريباً، حتى تكاملت أبعاده، وكمل نـضجه ونمـوه، وظهر على الساحة الاسلامية على شكل خط الامام، من خلال السـلوك السياسي والجهادي لقائد المسيرة الاسلامية الامام الخميني (رض).

خصائص وميزات خط الإمام

١ـ الغطاء السياسي والانساني لخط الامام:

والخاصية الاولى، في هذا الخط، انه ليس خطّاً سياسياً وجهادياً نظرياً تبلور من خلال تنظيرات علمية ودراسات سياسية اكاديمية، وانما تبلورت أبعاد هذا الخط السياسية والجهادية، من خلال ركام من جهاد وجهود العاملين وأتعابهم وتحركهم وسهرهم ودمائهم ودموعهم ومتاعبهم خلال طريق ذات الشوكة، ومن خلال عذابهم وسجونهم وهجرتهم وفرارهم وقرارهم، خلال هذه الفترة المباركة من عمر المسلمين.

وهذه الجهود والمجاهدات هي غطاء لخط الامام، وليس مجموعة نظريات ودراسات اكاديمية، وهو غطاء مبارك يبعث على الاطمئنان والأمن.

فان الانسان العامل، عندما يضع خطاه على هذا الخط المبارك يعلم انه يضعها على طريق شقّته امة كبيرة من المجاهدين والعاملين في سبيل الله من خلال تجاربهم وآلامهم وعذابهم وعملهم وتحركهم وجهادهم وما رزقهم الله من نور وبصيرة خلال هذه الحركة المباركة. ولقد سدد الله تعالى الكثير من الأخطاء، وقوّم الكثير من الزلات في حياة العاملين خلال هذه الجولة الربّانية الكادحة.

وكان هذا الخط حصيلة هذه التجارب والابتلاءات. وقد كانت الامة، خلال هذه المسيرة الشاقة الشائكة وقود الحركة، ومصب كل الآلام والمحن التي تجاوزتها الحركة والثورة الاسلامية في مراحلها المختلفة. وقد دفعت هذه الامة الكبيرة، ولاتزال تدفع ضريبة هذه الحركة الربانية في التاريخ، وتحملت آلام الطريق ومتاعبه بصبر وجلد. فمن الطبيعي اذن ان يكون هذا الوعي والخط السياسي الذي تبلور خلال هذه الفترة، تبلور في عمق ضمير الامة، ووجدانها وقناعتها، وتفاعلت معه الامة تفاعلاً كاملاً، وتحول الى قناعة وايمان ثابتين في عمق وجدان الامة.

فهذا الخط - اذن - ليس خطاً فكرياً وسياسياً طارئاً يفرض على أفكار الناس من خلال أجهزة الاعلام، وانما هو الخط الفكري والسياسي والجهادي النابع من تجربة الامة وقناعتها ومعاناتها، وتكونت مفرداته من خلال حركة الامة وتضحيتها ومحنتها. وهذا هو الغطاء الانساني لخط الامام.

وقد كان هذا الالتحام بين الامة وخط الامام، من أهم أسباب وقوف الامة بحزم وثبات لحماية خط الامام وحراسته من الانحراف، ومن اندساس المنافقين والانتهازيين داخل الخط، بغية تحريفه وتوجيهه لخدمة مصالحهم الشخصية والفئوية.

٢ـ الأبعاد الحضارية والتاريخية لخط الامام:

ومن خصائص هذا الخط، ان الجذور الاولى له تمتد الى رسالة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فليس هو خطاً مبتوراً، اجتث من فوق الأرض، ماله من قرار، وانما هو في أبعاده التاريخية خط الأنبياء والمجاهدين والدعاة الى الله تعالى والأئمة عليهم السلام، وهو بذلك خط عريق أصيل ذو اصول ثابتة والاحساس بهذه الحقيقة، يعمّق صلة الناس العاطفية والعقلية به.

فالانسان ليس كائناً مبتوراً عن اصوله وجذوره التاريخية وتراثه. وحينما يشعر انه يتبع في حركته مواضع خطى سلفه من الأنبياء، والدعاة الى الله تعالى، والمقيمين للصلاة، والمجاهدين في سبيل الله، فلا شك ان صلته بالخط وعلاقته به تتأكد، وتتصاعد درجة تفاعله الروحي والعقلي والعاطفي معه.

وهذا بالتأكيد من أهم عوامل بقاء الثورة الاسلامية واستمرارها على خط الامام، رغم كل المعاكسات والعقبات التي واجهتها الثورة، خلال هذه المسيرة الشاقة.

فقد انطلقت الثورة من المساجد ومن على منابر الاسلام، ومجالس عزاء الحسين عليه السلام، وتصاعد مد الثورة، خلال أيام محرم، حيث يجدد المسلمون ذكرى سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (ع).

والذي يتتبع كلمات الامام (رض)، خلال مسيرة الثورة، وبعد قيام الدولة، يجد ان الامام يولي اهتماماً كبيراً بربط الثورة بثورة سيد الشهداء الحسين عليه السلام والمحافظة على اقامة ذكرى الامام الحسين في عاشوراء، بالصيغة الشعبية التي أِلفها المؤمنون، والاستفادة من منابر عاشوراء ومجالسها ومسيرتها، في المحافظة على مكاسب الثورة، مع المحافظة على الناحية المأساوية لذكرى عاشوراء، والاستمرار في اقامة مجالس العزاء، كل ذلك لتبق عجلة الثورة مشدودة بأبعادها التاريخية، ولتربط مسيرتنا السياسية والجهادية بتلك المسيرة الربانية الكبرى.

٣ـ النصاب الشرعي للولاية في خط الامام:

ومن ميزات وخصائص هذا الخط «ولاية الفقيه» والتأكيد على ارتباط الحاكمية بالفقيه، في عصر غيبة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه، وبذلك تتكامل حلقات سلسلة الحاكمية والولاية في حياة الانسان، فان الله تعالى هو مصدر الحاكمية والولاية، قد أولى الله تعالى نبيّه هذا الحق في حياة الناس: «النَّبِيُّ أَولَىٰ بالمؤمنِينَ مِن أَنفُسِهِم»[١] ويتسلسل الحكم والولاية من أئمة المسلمين عليهم السلام. وفي عصر الغيبة تستقر هذه الولاية بصورة شرعية في الفقيه، الذي يلي امور المسلمين ويتصدى لشؤونهم، وبذلك تستقر الولاية على النصاب الشرعي لتتكامل حلقات هذه السلسلة.

٤ـ الأصالة في خط الامام:

ولم يتأثر هذا الخط، خلال العبور من وسط التيارات الحضارية المعاصرة، بشيء من مفاهيمها وأفكارها، وحافظ على أصالته ونقائه من التلوث الفكري والحضاري والسلوكي، رغم ان كل ما كان في الجو الحضاري السائد، كان يشجع ويدعو الى هذا التميع، والانصهار في المفاهيم والأفكار الغربية والشرقية.

وليس من شك ان الصلابة الفكرية لشخصية الامام كانت من أهم عوامل هذه الأصالة. ففي بداية قيام الدولة، ويوم طرح الإمام (رض) هذه الدولة للاستفتاء على الرأي العام، خطب لتوجيه الرأي العام، وقال: «انني أعطي رأيي للجمهورية الاسلامية»، من دون زيادة أو نقيصة، وأوصد الباب بشجاعة، دون كل المحاولات التي كانت تحاول دس الديمقراطية، أو الشعبية، أو الاشتراكية، أو غير ذلك من المفاهيم والمصطلحات الدخيلة على جوهر هذه الدولة ومحتواها.

ثم تبنّت الثورة، من خلال توجيهات وخطابات الامام ورجال الثورة وشعارات وهتافات الامة شعار «اللاشرقية واللاغربية».

وما أدراك ما قيمة هذا الشعار، وعمقه ووزنه السياسي؟!

فلقد كانت ولاتزال الحكومات والأنظمة في هذه المنطقة تدور حول فلك احدى القوتين العالميتين، فاذا انفلت النظام من دائرة النفوذ السياسي

لأمريكا، فلكي يرتمي في أحضان النفوذ الشيوعي، واذا تخلص نظام من فلك الشيوعية، فلكي يتراوح بينهما، أو يلعب على الحبلين جميعاً.

ولأول مرة تستطيع الثورة الاسلامية أن ترفع في وجه القوتين الكبريين شعار لا شرقية ولا غربية، وتمارس العمل السياسي، بموجب هذا الشعار، وتتخلص من دوائر النفوذ الأجنبية بصورة حقيقية، وسوف يكون الجيل القادم أكثر قدرة على تقويم هذه الخطوة الجبارة في الثورة الاسلامية، وتقويم هذا الركن المهم من أركان خط الامام.

ولقد كانت عوامل غريبة – استطاعت أن تدس نفسها، لفترة ما في خط هذه الثورة ـ تحرص كل الحرص، وتحاول أن تسرب هذه المفاهيم الغربية والشرقية، بصورة أو بأخرىٰ، في صلب الثورة، وتحاول أن تسوّغ ذلك بمختلف التبريرات، ولكن وعي الامام وثباته، ووعي الامة وثباتها، أفشَلَ كل هذه المحاولات، واستطاع خط الامام أن يجتاز هذه المرحلة، محافظاً علىٰ نقاوته، وأصالته وصفائه الفكري، الذي هو كل قيمته، والثمن الحقيقي لدماء الشهداء.

٥ـ الحالة الاقتحامية لخط الامام:

حالة التصدي للمعتدي، والمبادرة، والاقتحام، من خصائص الثورة. والثورة إذا تخلت عن حالة التصدي والمبادرة، واقتحام مراكز نفوذ القوى الاستكبارية لاتستطيع أن تواصل حياتها الثورية، وستتولى القوى

الاستكبارية دور المبادرة في ضربها وسحقها، ولذلك لابُدّ أن تكون الثورة حاسمة في مسألة التصدي للعدو، وتتولى دائماً دور المبادرة، ويكـون لهـا اقدام، وشجاعة في الاقدام في هذا المجال. وتعتمد على الله تعالى في المبادرة والاقتحام.

ومن دون هذه الروحية الثورية، لا تستطيع الثورة، أن تؤدي دورها الثوري في المجتمع وفي التاريخ.

وقد كان خط الامام، خلال هذه الفترة، يمتاز بمثل هذه الشـجاعة والجرأة، في التصدي والاقدام، واقتحام مراكـز نـفوذ الطـاغوت، وقـوى الاستكبار العالمي، وما يستلزم ذلك من رؤية واضحة، في المسائل الثورية والشجاعة العملية، وقبل ذلك كله الاتكال على الله تعالى.

وكان الامام قائد الثورة يتصف بهذه المواصـفات، ويـعمل بهـذه الروحية الثورية الاسلامية، في مراحل الثورة وحتى بعد قيام الدولة.

وبهذا النفس استطاع الامام ان يواصل العمل في الثورة الاسلامية المباركة.

وقد كان في بعض مراحل العمل يشعر بعض كبار المسؤولين الذين كانوا يتولون مناصب رئيسة في الدولة الاسلامية بالضعف والتردد، والميل للركون الى العافية لولا مواقف الامام الثابتة.

وأوضح مثل على ذلك اقتحام دار السفارة الامريكية، فلولا الامام

وموقفه الثابت القوي، كاد بعض المسؤولين في الدولة الاسلامية في الحكومة الموقتة أن يخذلوا الشباب الطلبة، السائرين على خط الامام في احتلال السفارة الامريكية والقاء القبض على الموظفين الجواسيس في السفارة الامريكية، رهائنَ لارجاع الشاه، من امريكا الى ايران، لمحاكمته واعدامه واسترجاع أموال المسلمين منه الى بيت المال.

وكانت الرؤية السياسية للمعارضين لهذا العمل الذي قام به الطلبة في طهران: ان الدولة الاسلامية وهي تعيش أيامها وأدوار نشأتها الاولى لا ينبغي أن تتعرض للتحرش بقوة عالمية كبرى مثل امريكا وتثيرها للكيد بها، وتعلن الحرب معها، وانما يجب على الثورة أن تتلافى الاصطدام بالقوى الكبرى جهد الامكان، وتحاول أن تعيش بمنأى عن الصراعات السياسية والعسكرية، ريثما تبني نفسها، وتقف على قدميها.

وهذا هو التوجيه السياسي المقبول للموقف المتخاذل، من بعض المسؤولين في الدولة الاسلامية من الذين وقفوا يومذاك موقفاً سلبياً، تجاه قضية رهائن السفارة الامريكية، وبالنسبة للصادقين منهم في مواقفهم السياسية.

ولقد كان موقف الامام ورأيه واضحاً، في دعم وتأييد الطلبة السائرين على خط الامام، الذين احتلوا السفارة الامريكية: ان اميركا لاتكف عن عدوانها تجاه الجمهورية الاسلامية، ولا تفكر في يوم من الأيام

أن تعيش مع الجمهورية الاسلامية بسلام، وفي كل يوم تضع خطة جديدة لاسقاط النظام الاسلامي الحاكم في ايران، وفي كل يوم تضع كيداً جديداً لتطويق هذه الدولة الاسلامية، ومصادرة الثورة الاسلامية. والسفارة الامريكية ليست إلاّ وكراً نشطاً عاملاً للتجسس الامريكي في داخل الجمهورية الاسلامية، وقد أثبتت الأرقام والشواهد بعد ذلك هذه الحقيقة. اذن، فلِمَ لانكون نحن المبادرين بالاقتحام والاحتلال، وتوجيه الضربة، وفضح المؤامرات الامريكية، واسقاط هيبتها السياسية في المنطقة، وكسر شوكتها.

وبهذا المنطق، كان الامام يؤكد للطلبة في احتلالهم للسفارة الامريكية، وبهذه الروح تقدمت مجموعة من الطلبة المسلمين لتوجه صفعة الى الشيطان الأكبر دوّخت اميركا، وأسقطت هيبتها في المنطقة.

٦ـ الربانية والأخلاقية في خط الامام:

ومن أركان هذا الخط وميزاته وخصائصه «الربّانية» والارتباط بالله سبحانه وتعالىٰ، ارتباطاً وثيقاً قائماً على أساس العبودية الحقيقية لله تعالى، والاخلاص له، والاتكال عليه تعالى، في كل الحالات، وهذا هو قوام الخط وأساسه الأول، ومن دونه لايبقى لهذا الخط شكل ولا محتوى. والتركيز على هذا الجانب هو المهمة الاولى لكل الأنبياء والأئمة عليهم السلام، والدعاة الى الله تعالى، فان الدعوة الى الله، وتوحيده بالعبودية هي الحجر الأساس في

رسالة الأنبياء ﴿وَمَن أَحسَنُ قَولاً مِمَّن دَعَا إِلَىٰ اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وقَالَ إِنَّني مِنَ المُسلِمِينَ﴾[٢].

وحـــركتنا ليست حـركة سـياسية، تسـتهدف اسـقاط الأنـظمة الطاغوتية فقط، وانما تتحرك لتـعبيد الانسـان للـه تـعالى، بـعد اسـقاط الطاغوت، وربطه به عزّوجل، وتخليصه لعبوديته سبحانه.

وقد رافقت الثورة الاسلامية منذ أيامها الاولى - بتوجيه وتأكـيد من الامام مباشرة - موجة من التربية الربانية، والدعوة الى الله والتوجيه اليه عز وجل، بالدعاء والصلاة، والتضرع، وتبني دراسة القرآن.

والذي يتتبع مكاسب الثورة الاسلامية يتملكه الاعجاب بما حققته الثورة خلال هذه الفترة القصيرة، من توجيه الشبان الى الله تعالى، ولربما نستطيع أن نعتبر مجالس «دعاء كميل» في ليالي الجمعة واجتماعات صلاة الجمعة من أعظم مكاسب الثورة، وهذه المجالس العامرة بالدعاء والتضرع هي المدارس التي تبني الجيل لمواجهة التحدي الامـيركي والروسي بـعزم وثبات واطمئنان، بالاضافة الى البناء الروحي الذي يـتلقاه شـبابنا عـلى جبهات القتال، العامرة بالدعاء والصلاة، والتضرع، والبكاء، بين يدي الله تعالى، اناء الليل وأطراف النهار، والذي يعيد الى ذاكرتنا معارك المسلمين الاولى في (بدر وأُحد وحنين).

والصفة الأخلاقية والتربوية في الثورة هي الميزة الاخرى المرتبطة

بالربانية، فان الثورة تمتاز بالأخلاقية، واعداد الجيل الصاعد لتربية أخلاقية شديدة في مكافحة الهوى، وتهذيب النفس، وبنائها على أساس من التقوى، والالتزام الدقيق بحدود الله تعالى.

والذي يتتبع كلمات الامام يجد حرصاً بالغاً واهتماماً كبيراً، بخصوص مسألة تهذيب النفس ومخالفة الهوى.

ولاشك ان هذه المسألة تأتي بعد «الربانية» مباشرة في سلّم اهتمامات الأنبياء عليهم السلام ورسالتهم.

٧ـ تبنّي قضايا المستضعفين والمحرومين في الأرض:

ومن خصائص خط الامام، التبني المستمر لقضايا المستضعفين في العالم الاسلامي بشكل جاد، والدفاع عن مواقعهم وقضاياهم بكل الوسائل الممكنة. فان مهمة هذه الثورة تحرير الانسان على وجه الأرض. وحيث يتواجد انسان مستضعف أو محروم، يعيش تحت أمر الجاهلية واثقالها، فان على الثورة ان تتولى قضيته، وان تجعلها في صلب اهتمامها، ولذلك نجد ان الثورة أعلنت عن مواقفها السياسية تجاه قضايا المستضعفين والمحرومين، وقضايا العدوان على العالم الاسلامي وعلى المستضعفين من أول يوم، بوضوح كاف.

فتبنت القضية الفلسطينية، بحماس منقطع النظير، وتبنت القضية العراقية، والقضية الافغانية، وقضية المجاهدين في مصر، وقضية الصحراء

المغربية، والمسلمين في الفلبين، والحرب اللبنانية - الاسرائيلية، وغير ذلك من قضايا العدوان على العالم الاسلامي، وشؤون المستضعفين والمحرومين. واذا تخلت الثورة، لا سمح الله، في يوم من الأيام عن مسؤوليتها تجاه قضايا العدوان على العالم الاسلامي وشؤون المحرومين، فانها تتخلى عن مهمتها ورسالتها السياسية والجهادية الاولى وعن مسوغ وجودها.

مكاسب الخط

١ـ الوعي الجماهيري:

قيمة هذا الخط - كما ذكرنا - ليس فقط في محتواه الفكري والسياسي والجهادي، وانما في انبثاقه عن عمق الوجدان الشعبي، ومن داخل آلام الامة، وآمالها، وعذابها، وطموحاتها، وحضارتها، ورسالتها.

ولهذا السبب، بالذات، فقد تبنّى جمهور الشارع الاسلامي خط الامام، بوعي، وبصيرة، وبكامل أبعاده الفكرية، والسياسية، والجهادية، ونزل الخط وما يستتبعه من وعي ورؤية سياسية الى الشارع.

والوعي السياسي، في الغالب، يخص طبقة ممتازة في المجتمع هي «النخبة الواعية»، ويبقى له تأثيره وتحريكه في داخل الامة، ذلك بفعل «النخبة»، فاذا انتقل الوعي من هذه الطبقة الى الشارع، ونزل «الوعي والخط السياسي» الى الشارع بكل ابعادهما وحدودهما، من غير عوج، ولا انحراف... تحولا الى قوة محركة هائلة، وقدرة سياسية كبيرة. وقلّما يكون ذلك.

والذي حدث في الثورة الاسلامية المباركة، ان هذا الوعي السياسي نزل ضمن خط الامام الى مستوى الجمهور، وتبنت الامة خط الامام بوعي وبصيرة وبكامل أبعاده. وبكل أصالته. فأصبح ابن الشارع يفهم شعار: «لا

شرقية ولا غربية» فهماً سياسياً واضحاً، ويعرف عن خبرة وبصيرة، خطر وضرر الارتماء في أحضان الشرق والغرب، ويدرك قيمة الاستقلال الفكري والسياسي، «ودور الجهاد والتضحية في تحرير الامة»، وقيمة «التصدي للطاغوت»، ومعنى «ولاية الفقيه».

وهذه المعرفة الواعية، والرؤية الصافية لمسألة الخط كانت لها آثارٌ ايجابية كبيرة في نجاح الثورة وتقدمها، واخفاق المحاولات المعادية للثورة.

فقد تبنت الامة الدفاع عن الثورة التي آمنت بها وبخطها، وتحملت ضريبة هذا الدفاع بصدق، ولم تنسحب من موقع تقدمت اليه مهما كانت الضريبة ثقيلة، ودفعت ضريبة الخط براحة وانشراح ورضاء وشمل هذا المستوى العالي من الوعي كل طبقات الامة.

وما أكثر ماتجد في خضم الثورة أُمّاً قروية، تعيش في الريف، تستقبل جنازة ابنها الشهيد بتغريدة الامهات اللاتي يزففن ابناءهن الى خدر أعراسهم، وتدخل جنازة ابنها بيديها الى داخل قبره، وتطبع على خده قبلة الوداع بكل سرور ورضى، وكأنها تودعه الى رحلة قريبة أو سفر يسير، ثم تقدم الحلوى على قبر ابنها، وتعد نفسها لاستقبال التهاني، كما تتقبل الامهات التهاني عندما يقدمن أولادهن الى أعراسهم، ويستنكرن، بصدق وجدّ، من يقدم اليهن العزاء.

ان الأم المسلمة هنا تعمل كل ذلك براحة ورضى وانشراح ولا

تحسَب انها عملت شيئاً.

ولا ينبثق هذا العمل الجبار عن عاطفة تجاه الثورة، فلقد رأينا العواطف وتأثيرها ودورها كثيراً، وليس بمقدور العاطفة أن تصنع مثل هذه المعجزات في حياة الانسان. وانما هو وعي، وبصيرة، وثقة، وايمان، ووضوح مابعده وعي ووضوح استقر في قلب هذه المرأة البسيطة الساذجة، وجعل منها اسطورة في التضحية ومعجزة في الشجاعة ونسيان الذات. وكذلك يفعل الايمان عندما يستقر في القلوب الواعية.

هذا الوعي للخط، وعلى مستوى الشاعر والريف هو - بالتأكيد - من أهم أسباب وقوف الامة الى جانب الثورة، وحمايتها ودفاعها عنها.

فلم يقف اندفاع الامة، ولم يبرد حماسها في التضحية والجهاد والعمل عند سقوط الشاه، وانما استمر هذا الحماس والاندفاع، وتصاعد في خط صاعد مابعد الثورة واجتاز بدرجات عالية من القوة والفاعلية كل العقبات، واحدة تلو الاخرى.

وهنا تبرز قيمة (الخط) في الثورة، فان الكثير من الثورات الشعبية التي أدت مهمتها في اسقاط النظام آل أمرها الى الضعف والبرود والانحراف.

وليس لنا مثل أوضح من الثورة الفرنسية (١٧٨٩ م). فقد كانت هذه الثورة نابعة من عمق وجدان الشعب حقيقة، ولكن هذه الثورة سرعان ما آل أمرها الى الانحراف، وحلت دكتاتورية جديدة، محل الدكتاتورية

السابقة، وطبقة منتفعة محل الطبقة المنعمة سابقاً، وتولىٰ بونابرت الحكم في فرنسا بأطماع توسعية عسكرية، وأفسد في الأرض، وأوغل في الفساد. والسبب في ذلك - في بعض الحدود - ان هذه الثورات لايرافقها خط سياسي سليم يستوعب الشعب ويملكه، وانما يمتلك الشعب في الاندفاع لاسقاط النظام والتضحية عاطفة ثورية وشعور بالحرمان والظلم من دون وعي وخط سياسي مفهوم ومقبول، من قبل ابن الشارع.

وأمد هذه العاطفة ومفعولها محدود بسقوط النظام، فاذا سقط النظام الحاكم خمد الحماس وامتص سقوط النظام كل النقمة والعاطفة، وانعزلت الثورة عن الشعب والشعب عن الثورة، فيسهل عند ذلك على المنتفعين، وهم كثيرون ،تحريف الثورة الى خدمة مصالحهم وأطماعهم.

اما الثورة الاسلامية فكان لها شأن آخر، وهذا الشأن هو من نتائج وآثار وجود (خط الامام) داخل الثورة وفي وجدان الامة ووعيها.

فلم تكن عاطفة ناقمة وغاضبة هي التي أهاجت الناس في ايران وأنزلتهم الى الشارع، وحرّكتهم باتجاه اسقاط النظام، وانما كان وعي سياسي اسلامي سليم، ورؤية سياسية وخط سياسي تصدر عنه العاطفة، وهذا الوعي والخط هو الذي حفظ الناس في جانب الثورة، وأبقاهم في خط الدفاع الأول للثورة منذ انفجارها الى اليوم، والى ان يستقر حكم الله على وجه الأرض كافة بقيادة الامام المهدي عجل الله فرجه.

فقد كانت الامة تشعر من خلال ايمانها بالخط ان لها قضية، وقضيتها لم تنته باسقاط النظام، وبقي ابن الشارع يشعر بعمق مسؤوليته، في حماية الثورة من كل دعاة التحريف وأصحاب المطامع السياسية والانتهازيين طيلة هذه الفترة، وكان هذا الشعور الواعي والصادق يتطلب منه الحضور الدائم والواعي في الساحة السياسية والمراقبة الواعية بعينين نافذتين لكل مايجري في الساحة.

٢ـ احباط المؤامرات وفرز الخطوط:

وهذا الحضور والمراقبة الواعية كان من أهم الأسباب في فشل المؤامرات الداخلية والخارجية، التي كان يحوكها أعداء الثورة الاسلامية، لتطويقها ومصادرتها واسقاطها.

وكان من أهم الأسباب في فرز الخطوط -إذا كان هناك خط سياسي آخر - وعزل الخطوط الاخرى، وأصحاب المطامع، والانتهازيين عن صلب الثورة، وحصرهم في الزاوية، ثم اسقاطهم، باذن الله.

ورغم ان اميركا حاولت المستحيل في الكيد بالثورة، وخططت لمؤامرات ذكية، واستعملت في ذلك كل قدرتها، ونفوذها وسلطانها المالي والسياسي والعسكري، ولم تأل جهداً في ذلك، إلاّ ان الحضور الواعي للامة في الساحة السياسية، والمراقبة الواعية لها أحبطت كل هذه المحاولات وأفشلتها.

ولاشك ان هذا الحضور الواعي والمراقبة الواعية في الساحة حصيلة ايمان الامة، وتبنيها العميق لخط الامام والتحامها به.

٣ـ الانسجام بين الخط والموقف:

والخط هو الذي يصنع الموقف، وكذلك حدث في الثورة الاسلامية، فقد كان وضوح الخط، والالتزام به من قبل جماهير المؤمنين، مصدراً لكثير من المواقف السياسية الصلبة.

فلكل ثورة، ولكل حركة شعاراتها، ولكن عندما تقترن الثورة والحركة بخط ثوري، حركي، واضح، مفهوم وملتزم من قبل الامة، تتحول هذه الشعارات الى مواقف.

ولقد حدث مثل هذا في الثورة الاسلامية، فارتفعت خلال الثورة مجموعة من الشعارات الثورية والجهادية، وتحولت هذه الشعارات، بفضل ايمان الامة والتزامها بخط الامام، الى مواقف سياسية وجهادية رائعة وبطولية.

نذكر منها الموقف من الدعاة الى التسامح السياسي مع الدول الاستكبارية، والتنازل عن المواقف السياسية المبدئية.

وقد رفعت الامة، امام الدعوة الى هذه التنازلات، في مسيرة تشييع الشهيد الدكتور بهشتي: (نقاتل ونموت، ولا نتنازل). ومن العجب ان الامة وقفت عند شعاراتها وقفة ثابتة، وحوّلت هذه الشعارات الى مواقف

سياسية صلبة، ووقفت عند هذه المواقف، ودفعت ضريبة الموقف، وليس من شك ان قيمة العمل السياسي بالموقف، وليس بالشعار، ومالم يتحول الشعار الى موقف لاتستطيع الثورة أن تحقق أهدافها.

ووجود خط سياسي سليم وواضح، والتزام هذا الخط من قبل الامة، من أقوى العوامل في صناعة المواقف السياسية.

خط الامام والانتهازية السياسية

ولابدّ لنا في هذه العجالة، أن نشير الىٰ مقارنة سياسية بين خط الامام والخطوط السياسية الاخرىٰ. التي كانت تنافس خط الامام علىٰ قيادة الساحة واستيعابها ـ ان صحت تسميتها بالخطوط ـ ولا نريد بهذه المقارنة الناحية الفكرية، والمحتوىٰ الفكري، وانما نريد بالمقارنة الموقف السياسي المبدئي فقط، بغض النظر عن محتوىٰ هذه المواقف والمبادئ.

فنقول من الصعب أن نصحح تسمية الخطوط السياسية ـ اليمينية واليسارية ـ المنافسة لخط الامام، بخطوط سياسية تملك مواقف مبدئية محددة.

فقد كانت هذه الخطوط، في الغالب، تشكّل اتجاهاً انتهازياً مقنّعاً بقناع سياسي ومبدئي، ومتبنى من قبل أفراد وجهات تملكهم مطامع سياسية أكثر من أي شيء آخر.

ولربما نستطيع أن نقول: ان أوضح وأقوىٰ هـذه الخـطوط الحـزب الشيوعي الايراني (تودة)، الذي كان يملك تاريخاً طويلاً في العمل السياسي، وحاول الحزب الشيوعي أن يكيّف نفسه مع خط الامام في شطر من عمر الثورة، ولا شك ان الحزب الشيوعي وجد حرجاً كبيراً في هذه المحاولة، فقد كان ينادي قبل ذلك بأن الدين افيون الشعوب، ويرفع هذا الشعار بوجه الدين، ومن الصعب مع ذلك أن يكيِّف نفسه اليوم مع خط سياسي اسلامي قائم علىٰ أساس الدين، ويعترف بالقيادة الدينية الاسـلامية في السـاحة السياسية، والحزب الشيوعي، من الناحية الايديولوجية، يقوم علىٰ أساس الحادي، رافض فكرة الايمان باللّه. ومن الصعب، مع هذا التصور، أن ينسجم الحزب مع خط سياسي يعتمد الايمان باللّه تعالىٰ مبدأ وأساساً لكل عمل وحركة. وكان بين الحزب الشيوعي والأوساط الاسلامية صراع وخلاف فكري قديم، وحواجز نفسية وفكرية واجتماعية، ومـن الصـعب مـع ذلك اجتياز هذه الحواجز، وتناسي الخلافات والانسجام السـياسي مـع خـط تتبناه القيادة الاسلامية. ومع ذلك فقد وجد الحزب الشيوعي الايراني نفسه بين خيارين: اما العزلة الكاملة عن الساحة السياسية وعن الامـة، وامـا الانسجام مع خط الامام، فآثر الحزب الخيار الثاني.

ولكن هل كان الحزب الشيوعي مبدئياً في هذا الموقف؟ بالتأكيد لا، كما لم يكن الحزب مبدئياً في مواقفه السياسية السـابقة، فـقد وقـع كـبار

الشيوعيين الماركسيين في احضان النظام الملكي، عندما طال بهم الأمد، كما حدث ذلك في العراق، وتناسى الحزب مواقفه المبدئية ضد النظام الملكي.

والذي حدث في الثورة الاسلامية ان الحزب الشيوعي تخلف عن الشعار والموقف الذي التزم به الحزب تجاه خط الامام. فكان يعلن الانسجام مع خط (لا شرقية ولا غربية)، وفي الخفاء يقيم أقوىٰ العلاقات التجسسية وأحطها مع الاتحاد السوفيتي، ويتجسس علىٰ مرافق واعمال الجمهورية الاسلامية لصالح الاتحاد السوفيتي، كما اعترف بذلك أقطاب الحزب الشيوعي، الذين «التي عليهم القبض بالجرم المشهود».

اذن، لم يكن الحزب الشيوعي يملك مواقف مبدئية سياسية في دور النظام الملكي، وبعد ذلك في عهد الثورة والدولة الاسلامية، وانما كان الحزب يتخذ من خط الامام قناعا سياسياً، يغطي به مآربه ومطامعه الحقيقية، للوصول الىٰ الحكم.

وما يقال عن الحزب الشيوعي، يقال عن كثير من الأحزاب والخطوط اليمينية، واليسارية، والقومية، والوطنية، والاسلامية ـ الماركسية الاخرىٰ.

فقد كانت هذه الخطوط في الغالب تمثل نحواً من الوصولية والانتهازية السياسية. ولذلك سرعان ما كشف خط الامام، والمبدئية السياسية الصارمة في خط الامام الأوراق السياسية لهذه الخطوط غالباً وعزلها عن الساحة

والجمهور.

ومن العجب ان خط الامام لم يتزحزح عن مواقعه ومواضعه السياسية قبل الحكم وبعد الحكم، والذي يتتبع المواقف السياسية، لهذا الخط بعد الحكم، لايجد تغييراً في مواقع ومواقف خط الامام طوال هذه الفترة.

ومن الملحوظ ان الخطوط الثورية تتخلىٰ عن كثير من مواقفها السياسية بعد الوصول الىٰ الحكم فيتحول النظام الثوري، بعد الوصول الىٰ الحكم الىٰ ثورة ودولة، ولكل منهما مصالحه وحدوده، فاذا كانت الثورة لها متطلبات سياسية مبدئية صارمة، فان للدولة حاجاتها ومتطلباتها أيضاً. وهي من نوع آخر تتطلب ليناً وتكيّفاً وانسجاماً مع الواقع، تتطلبها مصالح الدولة.

ان الذي حصل في الغالب، في الأنظمة الثورية الحاكمة، شيء يشبه هذا الأمر. ونحن لانشك في ان للدولة مصالحها ومتطلباتها، التي قد تختلف نوعاً ما عن مصالح الثورة ومتطلباتها، ولكننا نعتقد ان هذه القاعدة اتخذت من قبل كثير من الأنظمة الثورية واليسارية جسراً للانتهازية السياسية، ومن حقنا أن نضع علامة الاستفهام أمام كثير من التصرفات السياسية للأحزاب والفئات والدول الثورية واليسارية، كالاتحاد السوفيتي والصين، ولانستثني بعض المنظمات الفلسطينية التي انسجمت مع قرارات مؤتمر فاس وتخلت عن مواقعها السياسية.

ان الميزة البارزة لخط الامام الثبات السياسي، الصامد علىٰ مواقفه المبدئية تجاه كل القضايا السياسية. فلم يحدث مثلاً تغيير في موقف الثورة بعد الحكم تجاه القضية الفلسطينية، أو تجاه رفض الانتماء الىٰ الشرق أو الغرب.

وهذه من خصائص خط الامام البارزة، واذا وضعنا هذه الخصيصة السياسية، بازاء المواقف الانتهازية لكثير من الأحزاب والفئات والدول الثورية، نعرف عمق مبدئية خط الامام، والسائرى علىٰ هديه.

قيمة الخط في حياة الناس

قلنا ان خط الامام لايزيد علىٰ أن يكون تسمية جديدة في حياتنا السياسية المعاصرة، وإلاّ فان مسألة الخط قديمة اسماً ومحتوىٰ.

فمن ناحية المحتوىٰ، يأتي خط الإمام امتداداً لدعوة الأنبياء (عليهم السلام) ورسالتهم، وطريقتهم، ودعوة أئمة المسلمين، والمجاهدين والصدّيقين، والعاملين علىٰ امتداد التاريخ. وخط الامام يشكّل الامتداد الطبيعي لهذا الخط العريق العميق في التاريخ.

فمن ناحية الاسم، فان القرآن الكريم يعبّر عن الخط الرباني في حياة الانسان بـ«الصراط المستقيم»، ويعطي الاسلام لمسألة الصراط المستقيم، في حياة الانسان، أهمية فوق العادة.

ويكفي للتدليل علىٰ هذه الحقيقة أن نقول: ان الدعاء الوحيد، الذي يجب علىٰ الانسان أن يكرره في اليوم عشر مرات في صلاته هـو «اهـدنا الصّراط المستقيم»، ولا أعرف الآن دعاءً آخر يجب علىٰ الانسان أن يدعو به بصورة يومية رتيبة غير هذا الدعاء عدا الصلاة علىٰ محمد وآل محمد.

ويقارن القرآن الكريم بين اولئك الذين يعيشون علىٰ غـير هـدىٰ وبصيرة، في متاهات الحياة، والذين يسيرون علىٰ هـدىٰ وبـصيرة عـلىٰ الصراط المستقيم. فيقول: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً علىٰ وَجهِهِ أهدَىٰ أَمَّـن يَمـشي سَوِيّاً علىٰ صِرَاطٍ مُّستَقيمٍ﴾ (٣) وواضح ان الذي يمشي مكباً عـلىٰ وجـهه مطرقاً برأسه الىٰ الأرض تكثر العثرات في سيره، ولا يسـتطيع أن يـعرف الطريق، وهذه حالة العمىٰ والاعراض والغفلة في الانسان. اما من يمـشي بقامة سوية علىٰ الصراط المستقيم. فلا يعثر ولا يتيه.

وفي سورة هود ﴿مَثَلُ الفَرِيقَينِ كَالأَعمىٰ والأَصَمِّ والبَصِيرِ والسَّمِيعِ هَل يَستَوِيانِ مَثَلاً أفلا تَذَكَّرُونَ﴾ (٤).

وكيف يستوي الأعمىٰ والأصم والبصير السميع، ان الأول لايكاد يميز شيئاً مما حوله، والثاني يكاد يمتلئ وعياً وبصيرة وفهماً وادراكاً لما حوله. والأول هو الذي يعمل من غير هدىٰ علىٰ غير صراط مستقيم، والثاني هو الذي يسير علىٰ هدىٰ وبصيرة من دينه وعلىٰ صراط مستقيم.

ليس من المهم ان يعمل الانسان فقط أو يتحرك، وانما المهم أن تكون

حركته علىٰ الصراط المستقيم، وان القليل من العمل علىٰ هدىٰ ووعي واستقامة، خير من كثير لا يستقيم علىٰ الصراط المستقيم.

ان هاجس العمل يكاد يتملّك الكثير من العاملين وهو حق، وصحيح، ولكن مسألة تبنّي الخط، والتأكد من ان الانسان يضع خطاه علىٰ الصراط المستقيم، تأتي قبل العمل والحركة.

فما أكثر الأعمال والتحركات التي جرّت أصحابها الىٰ عذاب اللّه، واستدرجت القائمين بها الىٰ أسفل درك من الجحيم.

سمع أمير المؤمنين (ع) رجلاً من الحرورية يتهجد ويقرأ، فقال (ع): «نومٌ علىٰ يقين خيرٌ من صلاة في شك».

لذا نجد ان الاسلام يعطي هذا الدور الكبير، والقيمة الفائقة (الصراط المستقيم) حتىٰ يوجب الدعاء للاهتداء اليه، وتكرار هذا الدعاء مرات عديدة في اليوم دون غيره من الأدعية رغم أهميتها.

فقد يعمل الانسان بجد وبحرارة وحماس وبصورة متواصلة، ولكن لا يزيده عمله إلاّ بُعداً عن اللّه تعالىٰ، وذلك انه يعمل بعكس الصراط.

فكلما يتحرك أكثر يزيد بعداً عن اللّه عزّوجل.. وليس مثل «منظمة مجاهدي الشعب» عنا ببعيد، الذين قضوا شطراً من حياتهم السياسية، يحاربون الشاه، ويتحملون ألوان العذاب والمطاردات والسجون من قبل السافاك، والسجون، ثم آل أمرهم الىٰ أن حملوا السلاح بوجه الثورة

الاسلامية ورجالها وقادتها، وتحولوا الىٰ معول للهدم.

ولذلك ينبغي للعاملين أن لا يغرهم عملهم، وان يتأكدوا في كل لحظة أنهم يضعون خطاهم علىٰ الصراط المستقيم ولايخرجوا عن صراط اللّه، الىٰ متاهات الهوىٰ والشيطان.

وكلما يكون موقع الانسان العامل أكثر حساسية وعمله أكبر، يكون تعرضه للانزلاق واستهداف الشيطان أكثر وعليه أن يبذل جهداً أكثر في طلب البصيرة والوعي والفقه فى الدين.

فقد كان الامام علي بن الحسين (ع) يطيل القعود بعد المغرب ويسأل اللّه اليقين، ويقول: «ان اللّه تعالىٰ لايرزق أحداً رزقاً، أجلّ من نعمة اليقين والبصيرة، علىٰ ان نعم اللّه تعالىٰ كلها جليلة».

وعن الوشاء عن أبي الحسن عليه السلام؛ قال سمعته يقول: «الايمان فوق الاسلام بدرجة، والتقوىٰ فوق الايمان بدرجة، واليقين فوق التقوىٰ بدرجة، وما قسم بين الناس شيء أقل من اليقين».

واليقين والبصيرة والوعي كل ذلك يتعلق بخط تحرك الانسان، قبل أي شيء آخر.

ولهذا كله، تأتي قيمة اليقين بالخط، والوعي والبصيرة، والفقه من حياة المؤمنين العاملين، في الدرجة الاولىٰ من قضايانا، وتأتي المسائل الاخرىٰ بعد ذلك.

الارتباط العاطفي والواعي بخط الامام

ان مسألة الارتباط، والانشداد الىٰ الخط والصراط المستقيم، مسألة في غاية الأهمية، فان شخصية الامة، وسلامتها، واستقامتها، وصلابة مواقفها كل ذلك مرتبط بالتزامها بصراط اللّه المستقيم، فلابُدّ اذن من الاهتمام بتعميق الصلة بين الامة والخط «الصراط المستقيم».

والارتباط بالخط، يكون علىٰ شكلين: الارتباط العاطفي، والارتباط الواعي العقلاني. وكلاهما مهم، في اعداد وتربية الانسان المؤمن.

١ـ الارتباط العاطفي:

الارتباط العاطفي، وهو انشداد المؤمن الىٰ الصراط المستقيم، من الأجواء العاطفية، التي تشده الىٰ خط الأنبياء، والأئمة عليهم السلام، وصراط الصالحين من عباد اللّه، والمجاهدين العاملين.

وهذه الأجواء لاشك انها ذات آثار ايجابية في بناء شخصية الانسان المؤمن والتحاقه بالخط.

ان الاحتفالات بمناسبات أهل البيت عليهم السلام والمناسبات الاسلامية التي تخص شخصيات اسلامية، من العوامل الايجابية المفيدة في انشداد الانسان المؤمن بهذه القافلة المباركة من العاملين في سبيل اللّه السائرين علىٰ صراط اللّه المستقيم.

وكذلك زيارات مراقد أهل البيت عليهم السلام والأنبياء والأولياء والعلماء والمجاهدين، من العوامل المهمة في الانشداد الىٰ هذا الخط، والصراط العميق في التاريخ، الذي تنتظم عليه كل خطى العاملين المخلصين، والأتقياء الأبرار.

وفي مقدمة هذه العوامل، اقامة مجالس عزاء الحسين عليه السلام فان هذه المجلس ومايجري فيها من ذكر مأساة الطف علىٰ الطريقة الشعبية المألوفة ذات تأثير كبير في انشداد المؤمنين الىٰ طريق الحسين وصراطه وخطه، وقلّما نجد عاملاً تربوياً آخر يعوض عن هذا العامل ويحل محله.

ونحن ـ العاملين ـ مدينون بالكثير، لهذه المجالس من سلامة امتنا وسلامة خطنا، خلال هذه الفترة الصعبة، التي غزتنا فيها الحضارة الغربية، واقتحمت بيوتنا، ومدارسنا ودوائر أعمالنا، واجتماعاتنا. فكانت مجالس الحسين عليه السلام هي أحد أهم وأقوىٰ الحصون التي حصنت الامة وخطها خلال هذه الفترة من غزو الحضارة الغربية، عندما تهاوى أمام هذا الغزو الكثير من المعاقل والحصون.

فهذه الأجواء الاسلامية، الاحتفالات، والزيارات، ومجالس العزاء، وقراءة النصوص الواردة في الزيارة، وكذلك زيارة العلماء والمجاهدين الأحياء والاحتفاء بهم، وهكذا المسيرات والتظاهرات... كل ذلك عوامل ايجابية فعالة ذات تأثير عاطفي كبير في التحام الانسان المؤمن بخطه

وصراطه المستقيم وسلفه الصالح، وتنبيهه انه عضو في هذه الاسرة المباركة، اسرة الأنبياء والمرسلين والأئمة وعباد اللّه الصالحين، وانه خلف لذلك السلف الصالح وامتداد لهم، يجري علىٰ خطهم، ويسعى علىٰ هداهم، وعليه أن يسعىٰ لحماية هذا الخط وسلامته، وألاّ ينحرفَ عن طريقهم وصراطهم، وان يضع خطاه حيث كان يضع اولئك خطاهم، علىٰ الصراط المستقيم، ويحافظ علىٰ ارتباطه بهم، ويسعىٰ ان يكون امتداداً لهم.

ان السلفية المتطرفة في أفضل الحالات، اذا احسنّا الظن بها، لم تدرك قيمة وحقيقة ومغزىٰ هذه الأجواء العاطفية، وتأثيرها النفسي الكبير، في انشداد الانسان المسلم برسالته، وسلفه، واسرته الكبيرة.

علىٰ اننا نجد مايسوغ لنا سوء الظن ببعض رجال هذا المذهب في مكافحة هذه الأجواء الاسلامية الغنية والمباركة، ومحاربة زيارة المراقد، واقامة الاحتفالات والمسيرات، بحجة انها بدعة!!..

ولانستبعد أن يكون الهدف من ذلك كله قطع صلة الامة، بأبعادها وجذورها التاريخية، وقطع هذه الجذور، وبتر هذه الارتباطات والصلات، لتتحول هذه الامة الكبيرة، ذات الجذور العميقة المباركة في التاريخ، الىٰ امة مبتورة الجذور، مجتثة من فوق الأرض.

وهناك حقل خصيب آخر، من حقول الارتباط العاطفي بالخط، وهو حقل العمل والتضحية، فان عمل الانسان وجهاده وتضحيته في سبيل اللّٰه، وعلىٰ الصراط المستقيم، يتحول بصورة مباشرة الىٰ ايمان بـالخط، ووعـي وبصيرة ويقين وثبات.

وكلما يزداد عمل الانسان وتحركه علىٰ الخط وترتفع درجة تضحيته وتعبه علىٰ هذا الصراط، يزداد انشداداً والتحاماً بالخط، وحباً له، ويقيناً به، فتتحول الحركة الىٰ عاطفة حب، ويقين في العقل وثبات في العمل.

ونحن نجد لهذا القانون نظائر كثيرة في حياة الانسان، فالأُم كلما بذلت جهداً أكثر في تربية أبنائها، ازدادت حباً لهم، وليس اختلاف درجة عاطفة الام تجاه ابنها، من يوم ميلاده الىٰ يوم يشب سوياً، إلاّ نتيجة ارتفاع درجة البذل والعطاء والتضحية مـنها، فـتتحول جـهودها وتـضحيتها الىٰ حب وعاطفة وتعلق بأولادها، وهذا يزداد بصورة مطردة.

وهذا القانون يجري بصورة أعمق، في صلة الانسان بالخط، فكـلما ازداد عمله وجهاده وتحركه وتضحيته، للدفاع عن الخط، ازداد ايـماناً بـه وبصيرة وهدىٰ وازداد تعلقاً به، وثباتاً عليه، فيتحول هذا الجهد الىٰ عاطفة ويقين وثبات.

وهذه المعادلة القائمة، بين العمل والايمان، من أكثر المعادلات تأثيراً

في حياتنا اليومية.

ونحن نجد اليوم، في ساحة الثورة الاسلامية، شاهداً حياً علىٰ هـذه الحقيقة. فقد استطاعت الثورة أن تنجب وتربّي، خلال هذه الفترة القصيرة من عمرها، جيلاً من الشباب المراهقين والشابات المراهقات، من المؤمنين والمؤمنات، والمخلصين والمخلصات، والطائعين للّه والطائعات، ممن رزقهم اللّه هدىً وبصيرة وتقوىٰ واخلاصاً، يندر وجودهم في الأجيال السابقة.

وليس من شك، ان الثورة الاسلامية، لم تكن تملك القدرة التربوية الكافية لاعداد هذا الجيل، بهذا المستوىٰ الروحي والعقلي والايماني الرفيع. فأين نشأ هؤلاء اذن؟ ومن الذي رباهم؟ وفي أية مدرسة تخرجوا؟ وعلىٰ يد من نشأوا؟ وكيف قطعوا هذه المراحل والأشواط البعيدة، خلال هذه الفترة القصيرة؟ وفي هذا السن المبكر؟

تلك أسئلة يقف أمامها الجيل الهابط، الذي لم يألف هـذه القـفزات الايمانية الكبرىٰ في حياة الانسان حائراً.

والجواب: ان المواجهة الحادة، لقوىٰ الاستكبار العالمي وامتداداته في المنطقة، والمنافقين وأعداء الثـورة.. والمـواجـهة لهـؤلاء جمـيعاً، والعـمل والتضحية الحقيقية، التي قام بأعبائها هذا الجيل الصاعد المبارك، خلال هذه الفترة، بدموعه، ودمائه، وعرقه، وجهده، وسهره، هو الذي رفعه الىٰ هذا المستوىٰ الرفيع، من الايمان والوعي والاخلاص والثبات، وهو الذي شدهم

بهذه الصورة المحكمة المصيرية بخط الامام، وربط مصيرهم بمصير الثـورة الاسلامية.

٢ـ الارتباط الواعي:

والىٰ جانب الارتباط العاطفي بالخط، هناك نوع آخر من الارتباط، وهو الارتباط الواعي بالخط. ويتلخص في فهم الخط وادراكه بصورة واعية وعقلانية.

وهذا اللون من الارتباط يحتاج الىٰ عمل فكـري تـثقيفي، وجـهد علمي، من قبل الدعاة العاملين في سبيل اللّٰه، لتقديم خط الثورة الاسلامية بصورة علمية ومقبولة الىٰ جيل الثورة، وكذلك العمل لإسقاط واحـباط الخطوط الفكرية والسياسية الاخرىٰ ضمن جهود علمية.

وعلىٰ العاملين في سبيل اللّٰه، أن يستفيدوا من كل الفرص، لتقديم هذا الغذاء العقلي الىٰ جيل الثورة، الذي تناط به مهمة المحافظة علىٰ خط الثـورة الاسـلامية وسـلامتها ونـقاوتها، وذلك كـفرص المـحاضرات، والدروس، والخطب، والمـجالس الحـسينية ومـنابر الوعـظ والارشـاد، واستغلال أجهزة الإعلام بصورة واسعة لهذا الغرض.

علىٰ اننا نحب أن نقول، ليست الدراسـة والعـلم هـو كـل شيء في تحصيل البصيرة واليقين. وان التقوىٰ باب واسع من أبواب اليقين والمعرفة في حياة الانسان، والانسان الذي يتقي اللّٰه تعالىٰ ويضبط رغباته وأهواءه

في حدود اللّه، ويحدد تصرفاته بحدود اللّه (الحلال والحرام) يرزقه تعالىٰ بصيرة وهدىٰ ويقيناً ويثبته علىٰ الحق، يقول تعالىٰ: ﴿واتقوا اللّه ويُعلِّمُكُمُ اللّه﴾.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام «واعلموا انه من يتق اللّه يجعل له مخرجاً من الفتن، ونوراً من الظلم».

وهذا قانون آخر في علاقة التقوىٰ باليقين والايمان، يحتاج الىٰ دراسة أوسع في غير هذا المجال.

معالم الخط

ولابُدّ لكل خط وطريق من معالم يهتدي بها السائرون، ومن دون وجود معالم علىٰ الطريق لايهتدي الانسان الىٰ شيء.

فما هي المعالم علىٰ الخط (الصراط المستقيم)؟

ان القرآن يوضح هذه المعالم، بايجاز، في سورة الفاتحة، وبعد الدعاء بـ ﴿اهدِنَا الصِراَطَ المُستَقِيَم﴾ يأتي مباشرة ايضاح معالم هذا الصراط، وعلاماته وأدلته بقوله تعالىٰ: ﴿صِرَاطَ الَّذِيَن أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ فان السائرين علىٰ هذا الصراط والسالكين له هم العلامة المميزة، التي تهدي الىٰ الصراط المستقيم. فاذا اختلطت السبل عليك، فاتبع خطىٰ الذين أنعم اللّه عليهم من الأنبياء، والمرسلين، والأئمة،

والفقهاء، وغيرهَم من عباد اللّه الصالحين.

وعلامة هذا الصراط، ان تجد عليه هذه النخبة الصالحة من عباد اللّه، وان خير ماتطمئن به النفوس ان يجد الانسان علىٰ هذا الصراط أمثال ابراهيم، ونوح، وموسىٰ، وعيسىٰ، ورسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وعليهم، فتستقر نفس الانسان وتطمئن، ويثق بسلامة الخط والصراط.

ويضع الانسان علىٰ كل طريق، يسلكه المغضوب عليهم والضالون، علامة استفهام وانكار ويأخذ حذره منه.

وخلاصة الحديث؛ ان خير علامة ومَعلَم للصراط، هو سالكه والعامل عليه. واذا التبست الخطوط علىٰ الانسان، فلا يلتبس عليه الناس، ولا يصعب عليه ان يميز بين ابراهيم عليه السلام ونمرود، وموسىٰ عليه السلام وفرعون وجلاوزته، وعيسىٰ عليه السلام وأعدائه من بني اسرائيل، ورسول اللّه (ص) وطغاة عصره، والامام الخميني اليوم وأعدائه ومناوئيه، ولا يصعب علىٰ الانسان ان يميز بين من يعمل للّه ومن يعمل لهواه، ومن يتبع هدىٰ اللّه تعالىٰ، ومن تملكه أهواؤه وشهواته.

مصادر الخط

ولابُدّ أن نقول كلمة أخيرة، في نهاية هذه الجولة السريعة عن خط الامام عن مصادر الخط، ولا نشك ان معرفة المعالم وحدها، لاتكفي في الاستقامة علىٰ الصراط المستقيم، ولابُدّ بالاضافة الىٰ معرفة المعالم معرفة

مصادر الخط.

فاذا عرف الانسان مصادر الخط، فلا يمكن أن يأخذ الخط من غير نبعه، مهما طال به الأمد. لان أكثر الانحراف، في تاريخ الاسلام عن الصراط المستقيم، ينبع من الجهل بمصادر الخط. فان الانسان عندما يجهل المصادر الشرعية للدعوة والخط، يأخذه من يد أي انسان يعرضه عليه.

ولاشك ان رسول اللّه (ص) كان في حياته، هو المصدر والملجأ والملاذ الذي يلوذ المسلمون به، لمعرفة المستقيم من المعوج، والهدىٰ من الضلال، ولانشك ان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وآله لايترك مثل هذه المسألة المهمة الحياتية في حياة المسلمين من غير ايضاح، وهو يعلم بما يحل بهذه الامة، من اختلاف كبير وواسع؛ في الخط، والطريق، والصراط.

وعندما نرجع نحن الىٰ حديث رسول اللّه (ص) نجد ان رسول اللّه يحدد مصادر الخط بصورة واضحة، في أكثر من موقع في حياته المباركة، ولا سيما في اخريات أيامه، حيث كان يكرر صلى اللّه عليه وآله: «اني تاركٌ فيكم الثقلين، كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، ما ان تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي»(٥).

فعلينا اذن أن نطبّق مفردات الخط وأجزاءه دائماً بهذين المصدرين: كتاب اللّه وحديث أهل البيت، لنعرف بهما سلامة الخط واستقامته. وعلينا أيضاً أن نتوافر علىٰ دراسة كتاب اللّه وحديث أهل البيت، عليهم السلام، لنستوحي منهما اصول العمل الصالح، واصول الخط والتحرك. ففي كلام اللّه وحديث أهل البيت: نور، وهدىٰ، وسلامة، واستقامة وبصيرة.

هوامش الفصل الثاني

١- سورة الاحزاب، الآية: ٦.
٢- سورة فصلت، الآية: ٣٣.
٣- سورة الملك، الآية: ٢٢.
٤- سورة هود، الآية: ٢٤.
٥- يروي هذا الحديث بألفاظ متقاربة أئمة الحديث من السنة والشيعة. وبامكان القارئ أن يجد مصادر الحديث في الكتب الموضوعة لهذا الغرض كـ«الغدير» و«العبقات» وغير ذلك من المصادر.

الفصل الثالث

تأملات في الفكر السياسي والحركي عند الامام الخميني

السيد محمد حسين فضل الله

طبيعة الفكر السياسي لدىٰ الامام الخميني

قد يكون الحديث عن الخط الفكري السياسي للامام الخميني بصورة شاملة، متعسراً أو متعذراً، لأن المجالات التي تحدث عنها، أو خاض فيها، أو حارب من أجلها ليست محصورة في حدود معينة، أو دوائر ضيقة، بل كانت تتسع للعالم كله، في دائرة الاسلام كله، لأنه كان ينطلق في عمق فلسفته العرفانية إلىٰ الله في أوسع الآفاق حتىٰ كان يتجاوز الشكليات التقليدية في حركة هذا الخط، وكان يتحرك في وعيه الاسلامي للمسألة الانسانية في واقع الاستضعاف والاستكبار، فيما هي آلام المستضعفين في حركة امتيازات المستكبرين، فكان يتألم للانسان أيّاً كان انتماؤه، ويفكر أنّ الآلام الانسانية لاتمثل في إيحاءاتها الشعورية مجرد مشاعر حزينة، أو أصوات صارخة، بل لابدَّ لها من أن تتمثل في حركةٍ فاعلةٍ من أجل إزالة هذه الآلام، وكان يرىٰ أن مسألة الاسلام في وعي المؤمنين به، علىٰ مستوىٰ

القيادة أو القاعدة، هي مسألة الدعوة المتحركة في كل صعيد لتملأ فراغ الفكر الانساني بالفكر الاسلامي، وتشحن روحية العاطفة الانسانية بالعمق الروحي للعاطفة في الاسلام، وتحرّك الواقع الانساني بالتشريعات الحركية للانسان في الحياة، مما يجعل مسألة الدعوة تنفتح علىٰ السياسة كما تنفتح علىٰ الفكر، كما يدفع مسألة المعاني الروحية نحو القيم الانسانية في الحياة.

وهذه هي الميزة البارزة في شخصيته التي استطاعت أن تجعل ملامحها الداخلية والخارجية وحدة في الفكر والسلوك علىٰ أساس وحدة الخط الاسلامي الذي لايبتعد فيه العرفان عن الشريعة، بل ينفذ إليها ليزيدها عمقاً في الحركة، ولاتتجمَّد الشريعة لديه في نطاقٍ فردي، بل تنطلق لتشمل الحياة كلها بأبعادها العامة والخاصة في جميع المجالات.

وفي ضوء ذلك لم يكن العرفان لديه استغراقاً في اللّه بحيث ينسىٰ الحياة التي تضجُّ من حوله بكل آلام المستضعفين ومشاكلهم، وينعزل عن ذلك كله، بل كان ينطلق من الآية الكريمة التي تتحدث عن الذين نسوا اللّه فأنساهم أنفسهم ﴿ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنساهُم أَنفُسَهُم أُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾[(١)] ليستوحي منها أن ذكر الله بالمعنىٰ القلبي للحضور الإلهي في النفس يدفع الانسان إلىٰ أن يتذكر نفسه، وذلك بالانفتاح علىٰ كل آفاق المسؤولية التي تحدِّد له وجوده إِنساناً مسؤولاً عن الانسان والحياة فيما أراد اللّه لهما أن يكونا علىٰ الخط الذي يحبه. ولم يفهم التذكُّر بالمعنىٰ الجامد نفسه

الذي ينغلق فيه الانسان علىٰ المعنىٰ الذاتي في روحيته التي تجعله يهرب من التجربة الحية التي تدفعه الىٰ الاقتراب من المواقع المحرّمة في الحياة، ثم يعبّر عن ذلك بالعزلة عن الناس وعن المسؤولية، وعن كل المشاكل الانسانية الكبيرة التي تحاصر الانسان في حياته الخاصة والعامة. كما يفعله الكثيرون من العرفانيين الذين استغرقوا في الجانب الفلسفي للعرفان فعاشوا في خيالاته التي تصوَّروها حقائق، وآبتعدوا عن واقعهم الذي يمثل حقيقة الوجود الذي لاينفصل في حركة المسؤولية في داخله عن اللّه، فتحوّلوا الىٰ كائنات إنسانيةٍ قد تستوحي منها بعض القداسات الروحية لكنك لن تستوحي منها حركة الحياة في روحية المسؤولية الحركية.

لقد استطاع أن يدمج شخصية العارف بشخصية الفقيه، ثم انطلق من ذلك ليندفع من خلال هذه الشخصية الجديدة إلىٰ اللّه في خط المعرفة والحركة معاً، ليعيش في شخصية الداعية الىٰ اللّه والمجاهد في سبيله.

ومن هذا الموقع كان انفتاحه علىٰ الأُمة كلها، وعلىٰ المستضعفين. وهكذا رأينا كيف كانت حياته كلها خاضعةً لعناوين ثلاثة تلخّص كل العناوين الصغيرة في حركته، وهي «اللّه»، و«الاسلام»، و«الامة في دائرة الاستضعاف» ليقابلها «الشيطان» بأحجامه الكبيرة والصغيرة والمتوسطة في عالم الغيب وفي عالم الحسّ والكفر بكل معانيه «الفكرية والعملية، وبكل إفرازاته الواقعية في دائرة الضلال والانحراف والظلم، والطاغوت» بكل

رموزه الشخصية والاجتماعية والسياسية على مستوى الفرد والجماعة والدولة.

وهذا هو سر شمولية النظرة العامة للحياة عنده، وشجاعة الموقف في حياته، وصلابة التمرُّد في مواقفه، وصفاء الشعور في إحساسه، وآمتداد الاهداف في كل خطواته، وآنفتاح الثورة في مواجهته للواقع على مستوى العالم كله.

فـ«اللّه» هو رب العالمين، و«الشيطان» هو العدو الرئيس للانسان كله. و«الاسلام» هو رسالة اللّه الى الناس كافة، و«الكفر» هو خط الشيطان الذي يريد أن ينحرف بالحياة كلها، وبالانسان كله عن خط «اللّه»، و«الامة» تمثل العنوان الذي يشمل المسلمين جميعاً، كما أن آرتباط قضاياها بقضايا المستضعفين كلهم جعلها تنفتح على كل قضاياهم في العالم كله. والطاغوت الفردي والجماعي والدولي يمثل كل مواقع الطغيان الفكري والعملي في واقع الانسان كله.

وهذا هو الذي يجعلنا نلاحظ تكرر هذه الكلمات في كل كلماته بحيث لاتغيب عن لسانه في كل مناسبة من مناسبات الصراع.

وكان يفكر بأن على الحوزة العلمية أن تتحرك في هذا الاتجاه، فلا يكون العالم الديني مجرد خزانةٍ فكرية للمعلومات الفقهية والاصولية ليحتل مركزه المرموق من خلال ذلك، من دون أن يتمثل الرسالية في حركته،

والروحانية في روحه، والأخلاقية في سلوكه، والانفتاح علىٰ اللّه بكل كيانه، لأن التجرُّد عن ذلك يحوّل العالم الديني إلىٰ مشكلةٍ للاسلام، بدلاً من أن يكون حلاً لها، لأن المسألة ليست في أن يتحوّل الانسان ـ بالمعرفة ـ إلىٰ كتابٍ جامدٍ يضاف إلىٰ حركةٍ واعيةٍ غنيةٍ بالعقل والروح والأخلاق؛ بحيث تساهم في عملية صنع الانسان المسلم الجديد الذي يملأ الحياة إيماناً وخيراً وحبّاً وانطلاقاً في آفاق اللّه، وخضوعاً لأُلوهيته في موقع العبودية وجهاداً في سبيله. وهذا ما كان يخاطب به طلاب الحوزات العلمية:

«أنتم أيها الذين تدرسون اليوم في هذه الحوزات وتريدون أن تتولَّوا في الغد مراكز القيادة في الأُمة، لاتتصوَّروا أن كل واجبكم أن تحفظوا أو تتعلّموا مجموعة اصطلاحات... كلا إنَّ عليكم وظائف أُخرىٰ.. يجب أن تبنوا أنفسكم بحيث تستطيعون هداية الناس في القرية أو المدينة التي تذهبون إليها.

يؤمل منكم عند مغادرتكم للمراكز العلمية أن تكونوا قد هذَّبتم أنفسكم وبنيتموها بحيث تستطيعون أن تربّوا الناس طبقاً لأحكام الاسلام وتعاليمه.

أمّا إذا لم تصلحوا أنفسكم ـ لا سمح اللّه ـ في مراحل الدراسة، ولم تكتسبوا الكمال الخلقي والمعنوي، فإنكم ـ والعياذ باللّه ـ ستُضِلّون الناس وتقدِّمون لهم صورة سيئةً عن الاسلام وعلماء الدين»(٢).

ويقول في موضع آخر:

«إن الأعداء يعلمون مدىٰ تأييد الأُمة للحوزات العلمية ويعلمون أنه يصعب عليهم القضاء علىٰ هذه الحوزات مادام هذا التأييد قائماً، ولكن عندما يفقد أفراد الحوزات وطلابها المباني الأخلاقية، والمسلكية الاسلامية، ويصبح شغلهم الشاغل تحطيم بعضهم بعضاً، ويصبحون جماعات متنافرة ومتناحرة، لايتورعون عن الأعمال القبيحة واللاأخلاقية فإن الأُمة بشكل طبيعي وتلقائي ستسوء نظرتها إلىٰ الجامعات العلمية الدينية، ثم تسحب دعمها وتأييدها لها.. وهكذا يُفتح الطريق واسعاً أمام الأعداء لتسديد ضرباتهم إلىٰ هذه الجامعات. يجب أن تعلموا أن الدول لاتخاف من علماء الدين ومن المراجع، وما خوفهم هذا في الحقيقة إلاّ من الأُمة.. فهم يعلمون أن قوة المرجعية تكمن في تأييد الأُمة لها والثقة بها»(٣).

«إن الأُمة تتوقع أن تكونوا أيها المعمَّمون مؤدَّبين بآداب الاسلام... أن تكونوا حزب اللّه، لاتهتمون ببهارج الدنيا وزخارفها، أن لاتتخلّوا عن بذل كل ماتستطيعون في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلّا اللّه، أن لا يكون توجُّهكم إلّا للّه طلباً لمرضاته، دون أن يكون همكم رضىٰ أحدٍ من الناس كائناً من كان»(٤).

«اجعلوا الحوزات العلمية قادرة علىٰ التصدي للمشاكل التي سنجابهها»، «ان عملاء الاستعمار يريدون أن يقضوا علىٰ كل وجود للاسلام

وعلىٰ كل مظهرٍ له، وعليكم أن تقفوا وقفةً شجاعةً ولن يمكنكم ذلك مع وجود حبِّ النفس وحبِّ الجاه والتكبُّر والغرور.

إن عالِم السوء... العالم الذي يهتم بالدنيا... العالم الذي يفكِّر في حفظ مركزه وزعامته؛ لايستطيع أن يجاهد أعداء الاسلام، وضرره أكثر من ضرر غيره، فلتكن خطواتكم إلهية.. أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم، آنذاك يمكنكم أن تجاهدوا.. من الآن ازرعوا هذه النقطة في قلوبكم وربّوها، فليقل كلّ منكم «أُريد أن أكون جندياً مصلحاً مسلماً» وأُريد أن أُضحي للاسلام.. يجب أن أعمل للاسلام حتىٰ الشهادة»(٥).

وهكذا نلاحظ أن هذا النهج في تربية الشخصية المسلمة للطالب الحوزوي وللعالم الديني، هو الذي يمكن أن يحقق له القوة الروحية المتمردة علىٰ كل عوامل الضعف الداخلي، بحيث يستطيع أن يواجه ـ في حركة الجهاد ـ كل قوىٰ الكفر والاستكبار.

وهذا هو الذي يمثل سر شخصيته فيما إذا استطاع أن يربيِّ به نفسه في الخط الأخلاقي الروحي الذي ينطلق نحو الكمال الانساني من خلال شريعة اللّه.

وهذا هو الذي يجعل من العمق العرفاني الذي يلتقي بالعمق الشرعي سبيلاً للتكامل في بناء الداعية المسلم علىٰ أساس الرسالة والجهاد، فلا يغرق العرفان في الفلسفة التجريدية ولاتتجمّد الشريعة في القوالب الجامدة،

ولكنهما يحلّقان معاً في أجواء المعرفة الروحية، والآفاق الاسلامية ليصنعا الشخصية الاسلامية المحلّقة في آفاق الكمال.

وفي ضوء هذا النهج كان يتحرك لإيجاد نوع من التعبئة الروحية والشمولية الاسلامية، والحركة الجهادية في داخل الحوزة في تربيته الأخلاقية في أجواء التربية العلمية لتأخذ الحوزة، فيما يمثله طلابها وعلماؤها، الثقة الكبيرة في وعي الأُمة، علىٰ أساس القاعدة الروحية التي ترتكز عليها، في صلتها بمنابع الخير من خلال صلتها باللّٰه، وفي قوتها الكبيرة في خط الجهاد، وفي الإيحاء للأُمة بأن الذين يطلبون المعرفة في علم الاسلام، يتحرَّكون ليكونوا الطليعة في حركة الجهاد، وليكونوا القادة من أجل تدريب الأُمة علىٰ مواجهة كل تحديات الواقع الكافر بقوّةٍ لتغييره من الجذور لمصلحة القضايا الاسلامية الكبيرة في العدل والحق والحرية.

وهكذا بدأت الثورة من الحوزة ضد الطاغوت، وتردد بعض الذين كانوا يعانون الحيرة في شرعية الثورة، وتراجع بعض آخر ممن كانوا يرون أن الثورة تجتذب الدماء التي لايرضىٰ اللّٰه بأن تسيل حتىٰ في مواجهة الحكم الفاسد في زمن غيبة الامام، لأن ذلك هو شأن الامام الاصل، لانوّابه من العلماء الذين يجب عليهم الإخلاد إلىٰ الأرض حتىٰ يظهر القائم من آل محمد، ولكنه كان يرىٰ أن المسألة ليست مسألة القيادة في عصمتها بل هي مسألتها في وعيها وصدقها وأمانتها ومعرفتها وإخلاصها وشجاعتها ـ في الحق ـ

وخبرتها في تحريك الأمة، وان القضية هي قضية الاسلام الذي يريد اللّه أن يظهره علىٰ الدين كله ولو كره الكافرون لأنه جعل الهدف الكبير للمؤمنين أن يكون الدين كله للّه، وأن لايتحول الضعف في الواقع الىٰ وسيلةٍ لفتنة المسلمين عن دينهم، وأنّ الرفق إذا لم يحقق للأُمة وصولها الىٰ أهدافها فلابدَّ من اللجوء إلىٰ العنف للدفاع عن موقع القوة في الدعوة وفي حركة الانسان في التمسك بحكم اللّه، تماماً كما هي سيرة النبي محمد (ص) الذي عاش للدعوة برفق وهدوء وسلام في مكة ثم عاش للحركة نحو الدولة بقوّةٍ وعنف وحركةٍ فاعلةٍ في مواجهة التحدّي في المدينة.

ولذلك كان يرىٰ أن مسألة الفراغ في الساحة السياسية الاسلامية أمر مرفوض تماماً، لأنك اذا لم تملأه بالاسلام فسوف يملأُه الآخرون بالكفر، لذلك فلا بُد من التحرك بالسياسة الأسلامية نحو السيطرة علىٰ كل الواقع لإسقاط الكفر، وكان يرىٰ أن الاسلاميين، ولا سيّما الفقهاء منهم، إذا لم يتسلموا قيادة الثورة ضد الطاغوت فسوف يتسلّمها غيرهم من الفئات الكافرة والضالّة التي تضع الثورة عنواناً لها في تغيير الواقع لمصلحة أفكارها المناهضة للاسلام، مما يجعل الامة ترتبط بهم من خلال ارتباط قضاياها الاجتماعية والسياسية والأمنية والاقتصادية بهم، ليمتد ذلك الىٰ آرتباطها الفكري بهم وهذا هو الذي جعله يفكر بالحكومة الاسلامية خطّاً استراتيجياً للحركة بحيث كان تحرّكه ضد الطاغوت وسيلةً من وسائل إزالة

الحواجز الواقعية المادية الحائلة بين الاسلام والحكم، فلم تكن المسألة لديه مسألة تفكير إصلاحي من أجل تغيير بعض مواقع الانحراف في الدولة، لتبقى الدولة في نظامها الملكي المنفتح علىٰ التخطيط الغربي في الإدارة والتشريع والتخطيط والتنفيذ، بل كانت مسألة تغيير جذري يستهدف تغيير الانسان في فكره التغريبي الذي يراد تحوله إلىٰ فكر إسلامي، كما يستهدف تغيير النظام كله لتكون الدولة دولة إسلاميةً في جذورها الفكرية وتشريعاتها القانونية ومناهجها العملية في كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والأمنية.

وقد كانت محاضراته حول «الحكومة الاسلامية» أثناء إقامته في النجف الأشرف، محاولةً فكرية جادّة من أجل أن يفتح وعي الحوزة التي كانت يعيش أفرادها في عزلة عن مسألة الثورة الشاملة أو عن مسألة الثورة في الأساس، من خلال المفاهيم التجريدية التي كان يحملها بعض من أفرادها، من الكبار والصغار، حول الاسلام في فكره وحركته ليثير اليأس من إمكانات الوصول إلىٰ نتائج إيجابية علىٰ صعيد الواقع، مما يجعل التحرك أمراً غير واقعي، لأن اليأس من الوصول الىٰ الهدف الكبير هو العنوان البارز للمسألة.

ولعل مايميِّز هذه المحاضرات في تأثيرها العملي علىٰ ذهنية جيل الشباب من طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف ـ ولا سيما الايرانيين

منهم ـ أنّ الفقيه الذي ألقاها لم ينطلق من فكر نظريٍّ تجريديٍّ، بل انطلق من تجربةٍ عمليةٍ عانىٰ في أحداثها كل الاخطار التي كانت تتحدّىٰ حياته، حتىٰ انتهىٰ به الأمر الىٰ التشريد من وطنه. ممّا جعل القضية تتخذ لديهم جانب الفكرة القدوة.

وقد تكون قيمة القضية في ملامحها المميزة، أنّها انطلقت من موقع المرجعية الدينية التي تملك شرعية الانطلاق بالرأي الفقهي خطّاً للتقليد الذي يلتزمه أفراد الأُمة الذين يرجعون إليها في الفتيا، فتكون الحكومة الاسلامية لديهم حركةً في خط الحكم الشرعي، كما تكون ولاية الفقيه عنواناً من عناوين الشرعية للسلطة في كل حركة الفتوىٰ في الثورة والجهاد والمواجهة السياسية في وجه التحديات الكبيرة.

وقد كان المعروف عن المراجع أنهم لايواجهون العامة من الناس بما يخالف المألوف لديهم، أو بما يدفعهم الىٰ اقتحام مواطن الخطر، لأن ذلك قد يترك تأثيراته السلبية علىٰ مواقعهم في المرجعية القائمة علىٰ ثقة الناس بهم، فيما تعارف لديهم من تقاليد المرجعية المتزنة في كلماتها، الهادئة في مواقعها، السلميّة في مضمونها، المنفتحة علىٰ الواقع القائم بالسكوت أو التأييد، بعيداً عن كل إرباكٍ وازعاجٍ للواقع وللناس.

ولكنه كان يملك روح الاقتحام من خلال وعيه العرفاني وانفتاحه الفقهي علىٰ حياة الناس، وصلابته في رفض الكفر والظلم والانحراف.

وهكذا سمع الناس صوت المرجع الذي يتحدث عن الثورة وعن الحكومة فيما اعتادوا أن يسمعوه من الحزب، لأن ذلك الصوت هو صوت الأحزاب في برامجها، لا صوت المراجع في فتاواها.. وبذلك انفتح للاسلام أفقٌ جديدٌ في العالم، من خلال انفتاح هذا الصوت الاسلامي علىٰ التجربة الرائدة في تغيير الانسان والحياة علىٰ صورة الاسلام، ولو كان ذلك في دائرةٍ صغيرةٍ، باعتباره انطلاقةً للتجربة الصغيرة في اتجاه التجربة الكبيرة، علىٰ خط الأنبياء الذي وقف النبي محمد (ص) في نهايته ليحمل الاسلام من واقع مكة المليء بالاضطهاد إلىٰ واقع العالم الواسع المنطلق من الحرية المتحركة في ساحات الفكر والجهاد، ليكون النبي (ص) الأسوة الحسنة للعاملين والمجاهدين والسائرين في درب اللّه.

وهكذا فكّر وتحرّك، ودعا وثار وانتصر، لتبدأ أولُ حكومةٍ إسلاميةٍ في العصر الحديث بولاية الفقيه، المرجع، الحركي الثائر، الواعي للواقع في حجم الاسلام العالمي.

ووقف العالم معه، انبهاراً بالشجاعة والصلابة والشعارات الكبيرة لأنه يحب البطل في صورة الانتصار... ثم ثار ضده، وبدأ الحرب عليه، وعلىٰ خطه، وعلىٰ دولته دولة الاسلام، لأنه خاف منه علىٰ الفكر الذي يتبناه في خط الرأسمالية والماركسية، وعلىٰ الامتيازات التي يملكها في دائرة الاستعمار الغربي، والطموحات الشرقية، وعلىٰ مراكز القوىٰ الخفية التي تحرك أجهزة

النظام العالمي المادي المعادي للاسلام.

معنىٰ تصدير الثورة في نظر الامام

وقالوا إنه يصدِّر الثورة.

ومعنىٰ ذلك أنّ الانظمة في المنطقة ستهتز امام زلزال الإسلام الحركي الثائر، وأنّ النفوذ الغربي سيتراجع، وأنّ المصالح الاقتصادية للعالم الحر سوف تتعرض للخطر، وأن الحياة سوف تشهد امتداداً للاسلام باعتباره حركةً للفكر وللتشريع وللسياسة والاقتصاد، لتكون البديل عن الواقع المعاصر في كل اتجاهاته الفكرية وخطوطه العملية.

لقد كان من الممكن أن يسمح للثورة أن تبقىٰ محصورةً في داخل إيران ليجرّب الاسلام حظه هناك في مسألة الحكم والتشريع والحركة، ولتعقد مع العالم المستكبر آتفاقيات سلام واحترام متبادل، ليأمن هذا العالم شرها فيبتعد عن مواجهتها بالعنف عندما تكفُّ عن مواجهته بالعنف، كما هي عادته في الثورات الشعبية التي لايستطيع القضاء عليها فيتعايش معها في نطاق الضوابط السياسية والأمنية والاقتصادية التي تحدد علاقاتها به ثم يبدأ بعد وقتٍ طويلٍ أو قصيرٍ في التخطيط للقضاء عليها بشكلٍ مفاجئ.

ولكن الإمام رفض ذلك لأنه لم يكن ثائراً يبحث عن حدودٍ وطنيةٍ لثورته بل كان داعيةً يبحث عن كل ساحةٍ من ساحات العالم لتكون ساحةً

لدعوته. فإذا كان الاسلام رسالة اللّه للناس كافةً فلا بدَّ للدعاة أن يحملوه للناس كافةً. وهكذا آلتقت الأُمة الإسلامية بهذه الثورة، وآنفتحت علىٰ قائدها، وتحركت من خلالها لتهز أكثر من نظامٍ في المنطقة، ولتبعث الخوف في أكثر من موقعٍ من مواقع العالم المستكبر.

وهكذا عرف العالم أنّ هذا الثائر يتحرك في خط الاسلام العالمي، وأنّ هذه الثورة تفكر بالتغيير في حجم العالم.

ولكن كيف كان الامام الثائر يفكِّر في تصدير الثورة في بداية آنطلاقة النجاح في الثورة؟.

لقد خاطب سفراء الجمهورية الاسلامية بقوله:

«إننا نستطيع تصدير الثورة الاسلامية.. التصدير ليس بالحرب ولا بالقوة.. التصدير يتحقق بإنماء الحقائق الاسلامية والأخلاق الاسلامية الإنسانية هناك»(٦).

«عندما تدخلون بلداً يجب أن تتصوروا أنكم تريدون تربية أبناء البلد كما تربون أبناء بلدكم، وتبتغون تصدير الإسلام اليه، وتصدير الإسلام يتم عن طريق الأخلاق والآداب والأعمال الاسلامية حتىٰ يُقبل الناس عليكم»(٧).

انا نفهم من ذلك، أن الامام(رض) يريد أن لاتنطلق الثورة في العالم من حالة فراغ فكريّ، يتحرك في دائرة الأوضاع السياسية السلبية لينطلق

الناس في مواجهتها من هذا الموقع بل يريد لها أن تنطلق من الاسلام الذي ينتمي الناس اليه ويلتزمونه، ليكون هو القاعدة التي ينطلق منها الفكر وترتكز عليها الحركة، ويلتقي عندها الثائرون من أجل التغيير الشامل، مما يوحي بأنّ من الضروري أن ندخل مرحلة الدعوة الىٰ الاسلام في جميع المجالات العامة.

ولذلك فلابدَّ للعاملين في سبيل التغيير علىٰ خط الاسلام من العمل علىٰ انفتاح الناس، كل الناس، علىٰ الاسلام بالفكر والعقيدة والشريعة والمنهج والوسيلة والغاية، ليجدوا فيه الدين المنفتح علىٰ الحياة كلها، وعلىٰ الانسان كله، ليقتنعوا بأنّه الحلّ الأفضل الذي يملأ الفراغ فيما تعنيه الحياة في غياب الحلول الشاملة التي تتكامل فيها كل العناصر الحيوية المتصلة علىٰ كل جوانب الانسان الروحية والمادية.

وفي ضوء ذلك أراد لسفراء الجمهورية الاسلامية المنتشرين في انحاء العالم، ولكل الطلاب الذين يدرسون في جامعات العالم، أن يؤكدوا إنماء الحقائق والأخلاق الاسلامية الانسانية في وعي الناس؛ لأن ذلك هو السبيل للوصول الىٰ قناعاتهم.

إنّها مسألة الدعوة الىٰ الاسلام بالكلمة والفعل والموقف، التي تفتح حركة الاسلام علىٰ الثورة في خط الحق والعدل، لينطلق كل شعب مسلمٍ بالثورة من خلال قناعاته وجراحه وآلامه وأوضاعه القاسية، فلا تكون

المسألة مسألة دولة تصدّر الثورة بأجهزتها الرسمية وغير الرسمية بل تكون مسألة قيادة اسلامية تثير الوعي في النفوس ليتحرك الناس بعفويتهم واختيارهم نحو التغيير، تماماً، كما هو الشعب الذي انطلق من خلال القيادة ليثور في وجه الطاغوت، بعفويّته وروحيّته وشجاعته.

إنها مسألة الاسلام الذي ينطلق ليحرّك الثورة، لا مسألة الثورة الصادرة بوحي التعليمات.

وقد تحدث الامام (رض) إلىٰ السفراء المعتمدين لدىٰ الجمهورية الاسلامية في ايران فقال:

«إننا لانظلم أحداً ولا نرضخ للظلم، وإن مايعلنونه في الأبواق من أننا نريد الهجوم علىٰ جميع الشعوب وجميع بلدان العالم كذب محض، وافتراء وتهمة افتراها علينا هذا الشخص المجرم (ويقصد به صدام حسين) وهذا الحزب المجرم (ويقصد به حزب البعث الحاكم في العراق) وقد قلنا كراراً إننا ـ بحسب الحكم الاسلامي ـ لسنا ظالمين ولا مظلومين، ولانستطيع الرضوخ للظلم ولا نظلم أحداً ولانطمح في شبر من أراضي الآخرين حتىٰ لو ملكنا القوة المسيطرة علىٰ جميع العالم، ولايوجد أمر بالاعتداء ولا اعتداء في النظام الاسلامي»(٨).

إنه يريد أن يحدثهم أنّ الجمهورية الاسلامية لم تنطلق لتثير الاعتداء علىٰ الآخرين الذين ارتبطت بهم بعلاقات صداقةٍ طبيعيةٍ، لأن طبيعة

المعاهدات تفرض عليها التمسك بالعهود في نطاق الخطوط الشرعية للشريعة الاسلامية، ولكن هل يعني ذلك أن الجمهورية الاسلامية ستقف علىٰ الحياد بين الشعوب الاسلامية والأنظمة الحاكمة بطريقةٍ غير شرعيةٍ؟ هل تسكت عن الظلم الذي يفرضه الحكام علىٰ المستضعفين من الناس؟ وهل تمتنع عن مساعدتهم في تقوية مواقفهم ومواقعهم ضد هذه الانظمة؟ وهل يجوز لها أن تقوم بعقد المعاهدات بينها وبين الدول الأخرىٰ بالطريقة التي تمنعها من التدخل لمصلحة الشعوب المستضعفة لا سيما الشعوب الاسلامية؟ وهل تكون مثل هذه المعاهدات شرعية؟ في الوقت الذي نلاحظ فيه التأكيد علىٰ أنّ أيّ شرطٍ أو عقدٍ أو التزامٍ لا يكون نافذاً أو مُلزماً اذا خالف كتاب اللّه وسنة رسوله، فأحلّ ماهو حرام أو حرّم ماهو حلال أو اختلف مع الخط الفكري للمنهج الاسلامي في علاقة الاسلام بالانسان والحياة.

هذه اسئلة قد يطرحها الكثيرون الذين يجدون مسألة تصدير الثورة واجباً شرعياً علىٰ كل قوةٍ قادرةٍ علىٰ التحرّك في هذا الاتجاه سواء كانت مرجعيةً دينيةً واسعةً تملك التأثير علىٰ جماهير الأُمة الاسلامية في العالم الاسلامي، أو في قسم كبير منه، أو كانت حركةً إسلاميةً تملك امتدادات شعبيةً علىٰ أكثر من موقع من مواقع الحركة في البلدان الاسلامية أو كانت دولة إسلاميةً تملك عناصر القوة المادية والروحية والسياسية في دعم حركة

المستضعفين في العالم من أجل الاسلام في خط الحكومة الاسلامية أو في خط الحرية والعدالة.

وفي ضوء ذلك قد يلاحظ هؤلاء أنّ الذين يهادنون بعض الحكومات المسيطرة علىٰ بلاد المسلمين لاينسجمون مع الخط الحـركي للاسـلام، إذا كانت هذه الحكومات تضطهد شعوبها من خلال العقدة الديكتاتورية التي تختزنها في نظامها ضد الشعوب أو من خلال ارتباطاتها بدول أجنبيةٍ تعمل علىٰ التضييق علىٰ حرية كل شعبٍ في بلده، لاسيّما إذا كان يتحرك في خط الاسلام الحركي الذي يعمل علىٰ شمولية الطرح الاسلامي للحياة، مما يعتبره المستكبرون خطراً علىٰ مصالحهم وامتيازاتهم، لأن معنىٰ المهادنة خـذلان تلك الشعوب فيما يمنحه ذلك من قوةٍ لحكوماتها الظالمة، وضعف للعاملين في سبيل الحرية والاسلام، فتكون خاضعةً لعنوان الركون الىٰ الذين ظلموا أو مساعدة الظالمين أو ما أشبه ذلك.

وقد يرىٰ هؤلاء أنه من الضروريّ إعلان الثورة المسلّحة علىٰ كل الأنظمة الطاغية أو الظالمة حتىٰ لو أدّىٰ ذلك الىٰ المزيد من المشاكل للدولة الاسلامية أو للـحركة الاسـلامية في قـضاياها السـياسية والاقـتصادية والأمنية لأن المسألة هي مسألة الحق والباطل ممّا يجعل مـن التـضحية في سبيل إقامة الحق وإزهاق الباطل مسألةً تتصل بمفهوم الشهادة التي تتمرّد علىٰ كل عناصر الضعف والاسترخاء.

ويؤكدون أنّ ذلك هو خطُّ الإمام الخميني (رض) الذي دعا إلىٰ الثورة الاسلامية العالمية في مواجهة الاستكبار العالمي والإقليميّ والمحلّي لأنّ ذلك هو السبيل الوحيد للوصول الىٰ حكم الاسلام والىٰ حريّة الشعوب. وقد يفكّر هؤلاء بأنّ من الضروريّ تجاوز كل اللياقات الديبلوماسية وكل الاعراف الدولية في ذلك، فلا مانع من الإساءة الىٰ ضيف أوروبيّ في الدولة الاسلامية المضيِّفة بما قد يؤدي الىٰ خللٍ في العلاقات مع دولة هذا الضيف لأن كلمة الحق لابدّ أن تقال مهما كلّف ذلك من الثمن.

وقد يؤكد بعض هؤلاء ضرورة استعمال العنف في الكلمات السياسية، لأن في الحديث الهادئ ايحاءً بالضعف مما قد ينعكس علىٰ نفسية الشعب الذي لابدّ من أن يبقىٰ متوتّراً في مواجهة الاعداء، الأمر الذي يفرض علينا أن نقوم بتربيته علىٰ طريقة الخشونة التي توحي القوة وتعبئته تعبئةً ثوريّةً صارخة.

ولكننا نعتقد أن المسألة صحيحةٌ من ناحية المبدأ بشكل عام ولكنّ هناك حديثاً في التفاصيل، قد تختلف فيه النتائج وقد تتنوع فيه الاساليب تبعاً لاختلاف المصالح والمفاسد التابعة لاختلاف الظروف في ضغوطها علىٰ الواقع الاسلامي في مجالاته المتنوعة.

فنحن نلاحظ ان الامام (رض) أراد من جميع المسلمين والمستضعفين في الارض أن يأخذوا بأسباب الثورة في وصيته الأخيرة.

قال:«وصيتي الىٰ جميع المسلمين والمستضعفين في العالم، هي: انكم يجب أن لاتجلسوا وتنتظروا حكّام ومسؤولي بلادكم أو القـوىٰ الاجـنبية ليأتوا ويتحفوكم بالاستقلال والحرية. نحن وأنتم خلال القرن الأخير علىٰ الأقل حيث دنّست اقدام القوىٰ الكبرىٰ الطامعة، كل البلدان الاسـلامية وسائر البلدان الصغيرة، شاهدنا أو قرأنا في الصحيح مـن التـاريخ أن أيّـة حكومةٍ من الحكومات المسيطرة في هذه البلدان في الماضي والحاضر لم تكن تهتم بحرية شعوبها واستقلالهم ورفاههم، بل الاكثرية الساحقة منها، إمّا أن تمارس هي بنفسها الظلم أو الاضطهاد بحق شعوبها، وتصبَّ كل نشاطاتها في مصالحها الشخصية أو الفئوية أو من أجل رفاه الطبقة المترفة المتعالية تاركةً الطبقات المظلومة القابعة في الاكواخ والطرائق في حرمان من كل مواهب الحياة حتّىٰ من مثل الماء والخبز ولقمة العيش، مستخدمةً هؤلاء البائسين من أجل مصالح الفئة المرفهة المسيطرة. وإما أنها كانت عميلةً للقوىٰ الكبرىٰ باذلةً كل جهودها من أجل خلق حالة التبعية في البلدان والشعوب، جاعلةً البلدان ـ بحيل مختلفة ـ سوقاً للشرق أو للغرب وبذلك حقّقت مصالح أولئك الأسياد، وجعلت الشعوب مختلّفةً مستهلكةً ولاتزال هذه الخطة مسـتمرَّةً حتىٰ الآن.

وأنتم يا مستضعفي العالم ـ وأيّتها البلدان الاسلامية، مـن مسـلمي العالم ـ إنهضوا وآستيعدوا حقكم بكل ماتملكونه من قوة، ولاتهابوا ماتثيره

القوىٰ الكبرىٰ وعملاؤها من ضجيج إعلاميّ، وآطردوا من بلدانكم الحكام المجرمين الذين يقدّمون ثمرة كدحكم الىٰ أعدائكم وأعداء الاسلام العزيز، وأمسكوا أنتم والفئات المخلصة الملتزمة زمام الأُمور، وآنضوُوا جميعاً تحت راية الاسلام المشرّفة وهبُّوا للدفاع أمام أعداء الاسلام وأعداء المحرومين في العالم، وسيروا نحو إقامة دولةٍ مستكبري العالم حجراً، وسوف توصلون كل المستضعفين إلىٰ إمامة الأرض ووراثتها، علىٰ أمل تحقّق ذلك اليوم الذي وعد به اللّه تعالىٰ»(٩).

إنه يتحدث من موقع مسؤوليته الاسلامية الرسالية كقائدٍ إسلاميٍّ ثائرٍ خاض تجربة الثورة في مضمونها الاسلامي، وفي جهادها الثوري، وفي حركتها السياسية، وفي تحدّياتها الكبيرة في خط الصراع ضد القوىٰ الكافرة والمستكبرة... لتأخذ الفكرة من موقع القاعدة الثابتة التي تمثل الأساس الفكري في المنهج والحركة، ليبقىٰ للانسان هدفه الكبير في إقامة الدولة الاسلامية ووراثة المستضعفين للأرض، تحقيقاً لوعد اللّه لعباده في ذلك مما يفرض التحرك علىٰ مستوىٰ الجهاد الفكري في صراع الفكر، والجهاد السياسي في صراع السياسة، والجهاد العسكري في صراع الإمن.. وهكذا يريد للشعوب الواعية أن تمسك بزمام الامور في مواجهة أعداء الاسلام وأعداء المحرومين في العالم.

إنّه يتكلم بلغةٍ عالميّةٍ في منطق الثورة لأنه يرىٰ أنّ الداعية إلىٰ اللّه

والمجاهد في سبيله لابدّ أن ينطلق من حيث آنطلق رسول اللّه، فإذا كان الرسول (ص) قد تحرك في رسالته وفي حركته التغييرية لينذر أُم القرىٰ ومن حولها لتكون القاعدة للانطلاق، فإنه قد آمتدَّ ليشمل العالم كله، لأن اللّه قد أرسله للناس كافة ليكون برسالته رحمة للعالمين.. وهذا ماينبغي أن يتحرّك به الدعاة السائرون علىٰ هداه بأن ينطلقوا من موقع قواعدهم المحدودة في بلادهم لتمتدّ حركتهم نحو العالم.. وبهذا فإنهم لايعيشون بالذهنية المحلية والاقليمية والقومية إلاّ بما تتحرّك به الدعوة والثورة في حاجاتها المرحلية في هذه الدائرة أو تلك، علىٰ أساس الإعداد للتوسُّع فيما هي الآفاق الواسعة للاسلام، وفيما هي المجالات العامة للمسلمين، بحيث تكون الفكرة هي حماية الموقع الخاص من خلال مايمثله من قاعدةٍ إسلاميةٍ للانطلاق، أو مايتميّز به من موقعٍ متقدمٍ لانتصار الاسلام في المرحلة الأُولىٰ من جهاده، تماماً كما هي المدينة في حركة الاسلام الأُولىٰ في ساحة الصراع.

ولكن لايجوز أن تتحوّل الدائرة المحدودة إلىٰ حدودٍ للذهنيّة الإسلامية ليقف الثائرون عندها بحيث يسخِّرون العالم الاسلامي لها من خلال خصوصياتهم حتىٰ يستغرقوا فيها ويرون أنّ علىٰ كل الاسلاميين الحركيين ان يصادروا كل مواقعهم لهذا الموقع، وان يعرّضوا كل اوضاعهم للخطر حفاظاً عليه.

إنَّ أيّة دائرة اسلامية تملك خصوصياتها الذاتية، ومواقعها في ساحة

الحركة الاسلامية العالمية، مما يجعل لكـل واحـدةٍ مـنها مـوقعاً ودوراً في التكامل والتوازن لتعطي هذه الدائرة بعض المواقف الحاسمة القوية لمصلحة الدائرة الأُخرىٰ في ميزان الأهمية الاسلامية.. لتكون قوتها في عـناصرها الحيوية قوّةً لبقية الدوائر، كما هـي ايـران الاسـلام في واقـعها الاسـلامي المعاصر باعتبارها الدولة الاسلامية الحركية في مضمونها الاسلامي عـلىٰ مستوىٰ الفكر والشريعة والمنهج والحركة، فبما تتحمله من مسؤوليةٍ تجـاه الأُمة والمسلمين في العالم، فإن حماية هـذه الدولة تمـثل حمـاية المكـاسب الكبيرة التي حصل عليها الاسلام من خلال نجاح هذه الثورة في صنع الدولة مما يجعل من مسؤولية التوفر علىٰ حمايتها سياسياً وثقافياً وأمنياً، مسؤولية المسلمين ـ جميعاً ـ في العالم بحسب إمكاناتهم الذاتـية والحـركية، لتكـون حركتهم في أيّ موقع؛ منطلق ضغطٍ علىٰ القوىٰ المستكبرة لمـصلحة قـوة الدولة الاسلامية، بحيث يشعر بالحاجة الىٰ إقامة علاقات متوازنةٍ مع هذه الدولة، بشرط التخطيط الدقيق بين الحركات الاسلامية وبينها علىٰ أساس رعاية ظـروف هـذه الحـركات في خـصوصياتها وحـاجاتها السـياسية والجهادية بشكلٍ دقيقٍ حتىٰ لاتضعف قوّتها في خط المواجهة، ليتم التوازن بين خط الدولة في هذا الموقع، وخط الثورة في المواقع الأُخرىٰ.

عالمية التحرك الاسلامي

إنّ من الضروريّ أن يتعرّف الإسلاميون الىٰ أنّ المضمون الاسلامي الذي يجعلونه الأساس في حركتهم، يفرض عليهم التفكير بالانطلاق من موقع عالمية الحركة من خلال عالميّة الاسلام في دعوته وثورته وآفاقه الواسعة، ولذلك فإن مصطلح «تصدير الثورة» الذي جعله الاستكبار العالمي عنواناً لحملته علىٰ الدولة الاسلامية باعتباره خطراً علىٰ النظام العالمي، لايمثّل مشكلةً لنا كإسلاميين، بل يمثل انفتاحاً في حركتنا الاسلامية في العالم بحيث تترابط فيها المواقع الاسلامية ببعضها، وتتكامل الحركات الاسلامية في تخطيطها لنجسّد الوحدة الاسلامية العضوية فيما جاء به الحديث الشريف: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الاعضاء بالسهر والحمىٰ».

وفي ضوء هذه الروحية تتحول الاهتمامات الىٰ اهتمام شاملٍ بكل الشؤون الاسلامية فيما هي المسألة السياسية والثقافية والأمنية والإعلامية، بعيداً عن المذهبية في خصوصياتها التاريخية أو عن الخصوصية الحركيّة في عناصرها الإقليمية، لاسيّما في المسألة الإعلامية التي يحركها الاستكبار لتُضعف روحية المسلمين في حركاتهم وأوضاعهم.. وربما كان من الضروريّ التخطيط لإثارة مسألةٍ إسلامية في حجم العالم، لتكون بمثابة اثارةٍ للمشاعر الاسلامية في نطاق الشعور الاسلامي الوحدوي الذي يحمل

الإيحاء للمسلمين بأنّ قضاياهم واحدة من موقع أنّ الاخطار التي تواجههم واحدة. وهذا ما لمسناه فيما أثاره الامام الخميني (رض) في الفتوىٰ التي أطلقها في الحكم باعدام سلمان رشدي من خلال كتابه «آيات شيطانية» فقد كانت الاحتجاجات ضد هذا الكتاب ومؤلفه محدودة في أمكنة محدودةٍ بحيث لاتمثل حالة شاملةً تحرك مشاعر المسلمين.. ولكن فتوىٰ الإمام (رض) عندما انطلقت تحوّلت الىٰ موج فكريٍّ وسياسي وإعلاميٍّ وشعوريٍّ هادرٍ، علىٰ مستوىٰ العالم كله، وذلك من خلال الوقفة الاسلامية الواحدة التي تجاوزت الخصوصيات المذهبية والحركية والاقليمية، فانطلق الصوت واحداً بكل قوةٍ، بحيث إن المراكز الرسمية الدينية والسياسية التي تمثل المصالح الاستعمارية لم تستطع أن تواجه هذا الصوت الاسلامي الواحد بطريقةٍ مباشرةٍ ولكنا حاولت كاالالتفاف عليه ببعض الاساليب التي تريد أن تخاطب فيها المشاعر المضادة للاسلام بأسلوب ضعيف بائسٍ منافقٍ. ربّما يناقش بعض الناس في إيجابيات هذه الفتوىٰ، وربما يتحدث البعض عن سلبياتها علىٰ مستوىٰ القضايا التي أثارتها حول موقف الاسلام من قضية الحرية في الهجمة الغربية الكافرة علىٰ الاسلام في موقعه المضاد لحقوق الانسان في حريته الفكرية والاعلامية وما إلىٰ ذلك من كلمات، بحيث يرىٰ هؤلاء أنّ الاسلام قد خسر من سمعته في هذه الفتوىٰ أكثر مما حصل عليه من أرباح، بل قد يرىٰ هؤلاء أنّ الاسلام لم يحصل إلاّ علىٰ الخسارة الكبيرة

من ذلك.

ولكن الدراسة الهادئة الدقيقة الواعية توحي إلينا بغير ذلك، فقد نلاحظ أنّ المعركة بين الاسلام والاتّجاه الغربيّ الماديّ في حقوق الانسان، فيما هي مسألة الحرية الفكرية وغيرها لم تبدأ من هذه الفتوىٰ، بل هي ممتدّةً من أوّل موقعٍ للصراع بين الاسلام وخصومه، لأن الخطوط الفكرية للاسلام في عمق مسألة الحرية تختلف عن الخطوط الفكرية للتيارات الأُخرىٰ في هذه المسألة، مما يجعل من إثارة هذه المسألة من موقع هذه القضية، عنصراً إيجابياً لحساب المسألة الاسلامية في تحديد الفواصل بين الاسلام والأفكار الأخرىٰ، حتىٰ يتعرّف المسلمون ملامحهم الفكرية بعيداً عن التأثر بالجوّ الاعلامي الثقافي للتفكير الغربي الذي قد يسيطر علىٰ الذهنية الاسلامية فيما تخطط له التيارات الكافرة من إبعاد المسلمين عن خطوطهم الفكرية الدقيقة لمصلحة الخطوط الأخرىٰ ولذلك فإن إثارة بهذه المسألة بهذه الطريقة الحاسمة في ساحاتها العالمية، قد استطاعت أن تصنع ثورةً إسلاميةً فكريةً جذَّرت الخصوصية الاسلامية الفكرية في وعي المسلمين، كما أطلقت مسألة الحوار الفكري حول الموضوع علىٰ أكثر من صعيد، وأظهرت مدىٰ الحقد الصليبي والمادي الذي تختزنه أوروبا المستعمرة ضد الاسلام والمسلمين، لا سيما في فرنسا، بحيث أزال الكثير من الأوهام التي يحملها بعض المسلمين في هذا الموضوع عن العلاقات المتوازنة بين الاسلام والمسلمين، وبين بعض

الدول الاوروبية، وكشف القناع عن التخطيط الدقيق الذي يتحرك فيه الاستكبار العالمي لابعاد المسلمين عن قواعدهم الفكرية الاسلامية بكل الوسائل.

إن الفتوىٰ ـ الموقف، قد خلقت وضعاً صعباً للجمهورية الاسلامية في إيران، في علاقاتها الديبلوماسية والسياسية والاقتصادية مع كثير من الدول لاسيّما الدُول الأوروبية التي كانت قد بدأت تتخذ وضعاً طبيعياً في تلك المرحلة وربما اعتبرها بعضهم خطأ سياسياً، ورأىٰ فيها بعضهم الآخر دلالةً علىٰ أن القيادة الاسلامية لاتملك الرشد السياسي في حركة العلاقات الدولية، ولكن هذا البعض أو ذاك كان يستغرق في ايران ـ الدولة، بعيداً عن ايران ـ الاسلام، أو بعيداً عن الاسلام بالذات. فالمسألة لديه كيف يمكن أن يتوازن الوضع الإيراني من الناحية الرسمية، كما لو كانت ايران الايرانية هدفاً مستقلاً بحد ذاته.

ولكن الإمام كان ينظر الىٰ الأُمور بنظرةٍ إسلاميةٍ شاملةٍ، تحدّق في سلامة إيران من جهة، وفي سلامة الاسلام من جهةٍ أُخرىٰ، فقد لاحظ أنّ هناك اتجاهاً خبيثاً في الاعلام العالمي السياسي، يستهدف الإيحاء بأن ايران قد بدأت تتّجه للاستغراق في الداخل بعيداً عن التزاماتها الاسلامية في مواجهة القوىٰ المستكبرة المعادية للاسلام والمسلمين، حفاظاً علىٰ مصالحها الاقتصادية، وأنّ القيادة الاسلامية قد تجرّعت السمّ واستراحت للضعف

وبدأت تعيش في استرخاء أمام الواقع الجديد بعيداً عن الثورة والثوريين.

فكانت هذه الفتوىٰ ـ الموقف، حركةً في آتجاه تجديد المشاعر الاسلامية في العالم علىٰ الطريقة التي آنطلقت فيها الثورة الاسلامية في تعبئة الرأي العام الاسلامي في بداياتها، للإيحاء للمسلمين بأن الثورة مستمرة علىٰ المستوىٰ العالمي بوسائلها الواقعية المحدودة التي تعمل علىٰ تطويرها، وبأن المصلحة الاسلامية في الدفاع عن رسول الاسلام وعن القيم الاسلامية تتقدّم علىٰ بعض مصالح إيران الخاصة، لأن قيمة الثورة والدولة تنطلق من قيمة الاسلام، فلا معنىٰ لإيران بدون الاسلام، ولا معنىٰ للاسلام بدون الحركة الجهادية التي تتبنّىٰ الدفاع عنه.

لقد استطاع بفتواه إنتاج الشعور الاسلامي في مواجهة الكفر والاستكبار بالطريقة التي تجاوز فيها المسلمون حواجز المذهبية، مما جعل القوىٰ التي تراهن علىٰ المذهبية كعنصر لتمزيق المسلمين لمصلحة الاستعمار، تتراجع عن كثير من مواقعها بفعل ضغط التأثيرات العملية للفتوىٰ في تعبئة الأُمة الاسلامية كلها لمصلحة الاسلام.

البرمجة والتخطيط في العمل السياسي

إننا نؤكد ضرورة الانفتاح علىٰ الاسلام كله في حجم العالم، من أجل إنتاج المسلم العالمي الذي لايتنكر لخصوصياته الخاصة، بل يلاحظها في

نطاق الواقع الاسلامي الكبير، ولكننا في الوقت نفسه نلاحظ أن تصدير الثورة من خلال تصدير الاسلام إلىٰ أيّ موقع من المواقع لابدَّ أن ينطلق من خطّةٍ مدروسة شاملةٍ علىٰ مستوىٰ حاجات الدعوة في المجال الثقافي والإعلامي، وحاجات الثورة في المجال السياسي والأمني من خلال دراسة الأولويات بين موقع وموقع، فقد تفرض الخطة الاهتمام بموقعٍ إسلاميٍّ متقدّمٍ في ساحة الصراع علىٰ حساب تجميد موقعٍ آخر لايمثّل الأهمية الكبيرة في مواقع التحدي، وقد تفرض علينا المهادنة المحدودة أو التزام معاهدات معيّنةٍ ذات طابعٍ خاصٍ من الالتزامات السياسية والاقتصادية، وقد تقودنا الىٰ الإقتراب من موقعٍ استكباريٍّ لمواجهة موقعٍ استكباريٍّ آخر أكثر خطورةً مع الاحتفاظ بمواقعنا الاسلامية علىٰ مستوىٰ قضايا الحرية والعزة والأصالة الفكرية، وقد يقتضينا الموقف الارتباط ببعض الجهات التي تتخذ موقفاً سلبياً ضد بعض الاتجاهات الاسلامية لأن هناك مصلحةً إسلاميةً عُليا في ذلك، مع التخطيط لرعاية هذه الاتجاهات بطريقة خفيّةٍ مدروسة.

ولابدَّ لنا من مواجهة المسؤولية في المحافظة علىٰ إشراق الصورة الاسلامية في الوعي العالمي للاسلام فيما يتصل بالواقع السياسي العملي في الممارسة الحركية الثورية، فقد نحتاج الىٰ التحفُّظ في بعض الوسائل حفاظاً علىٰ الطابع الانساني للحركة الاسلامية في العالم، لأن المسألة تتصل بالدعوة كما تتصل بالثورة. وفي ضوء ذلك، قد يكون من الضروري أن نواجه الحملة

الإعلامية الاستكبارية التي تقودها الاجهزة الغربية الأميركية والأوروبية ضد الاسلام، والثورة الاسلامية بالذات، بالتأكيد علىٰ صفة الإرهاب كصفة مميِّزة للتحرك الاسلامي الثوري، مما يوجب تعقيد الذهنية الانسانية من الاسلام والمسلمين.

إنّ علينا دراسة المسألة في العمق لدراسة طبيعة هذه القضية علىٰ مستوىٰ الواقع من خلال بعض الحوادث المتفرقة هنا وهناك، كما في الرهائن التي لاتزال تتحرك في المجال السياسي والاعلامي كمسألةٍ تملك البعد الإنساني في دائرة الأبعاد السياسية العالمية، التي تحاول أن تجعل منها لافتةً كبيرة للمشروع الامريكي الذي يخطط لحملةٍ سياسيةٍ وأمنيةٍ ضد كل المعارضين للسياسة الامريكية علىٰ طريق الحرية لتوحي بأنها تعمل من أجل تحرير الرهائن والوقوف في وجه الذين يقومون بهذه الأعمال اللاإنسانية لتشير الىٰ الاسلاميين والىٰ بعض قوىٰ التحرر في المنطقة والىٰ الجمهورية الاسلامية باعتبار أنّهم مسؤولون عن ذلك.

وهذا هو ماتحاول أن تثيره حول الكثير من أحداث التفجيرات في الاماكن المدنية التي تقتل الأبرياء من المدنيين، أو في الطائرات التي يركبها الكثيرون من الناس الذين لاعلاقة لهم بالصراع السياسي، وذلك بإلصاق التهمة بالقوىٰ الاسلامية والتحررية لتشويه صورتها أمام الرأي العام العالمي، ولإعداد الجوّ الملائم علىٰ مستوىٰ العالم، للهجوم عليها والقضاء علىٰ

مواقعها من دون أيّ احتجاجٍ عالميٍّ.

إنّ علىٰ القائمين علىٰ شؤون الاسلام، والثورة الاسلامية بالذات أن يدرسوا العمق في هذه الامور لمواجهة هذه الحملة الاعلامية بوسائل أكثر تقدماً وفاعليةً حتىٰ تتوضّح الصورة الاسلامية للنهج الاسلامي في العمل السياسي والأمني سواءً في نطاق القواعد الاسلامية للعمل الجهادي في الحالات الطبيعية العادية أو في نطاق الاوضاع الطارئة التي قد تحتاج الىٰ وسائل غير عادية لحماية الواقع الاسلامي من الرياح الاستكبارية العاصفة العاتية.

ثم لابدَّ من وضع الخطة الدقيقة المرسومة بطريقة علمية موضوعية لكشف الخطط المخابراتية التي تخططها الأجهزة الاستكبارية في دوائر استخباراتها للاغتيالات والتفجيرات والمؤامرات ضد سلامة الشعوب المستضعفة في ساحات العالم الثالث مما يدخل في إرهاب الدولة ضد المدنيين في مواجهتها لقوىٰ التحرر في العالم، وذلك من أجل إحباط الحملة المضادة الموجهة ضد قوىٰ الاسلام والحرية في العالم، لتوعية الرأي العام العالمي بأن المستضعفين قد يضطرون الىٰ المواجهة بوسائل غير عادية، وغير انسانية عندما تكون المسألة مسألة حرب الحرية ضد الاستعباد، وحرب الوجود ضد الإفناء لتتوازن النظرة للمسألة علىٰ أساس ظروف الحرب والسلم في الشوارع الخلفية للواقع السياسي والأمني، أو في المواقع البارزة، لأن لكل

حرب شروطها وحلالها وحرامها من خلال العناوين الثانوية للأحكام بالإضافة الىٰ العناوين الأولية.

وفي ضوء ذلك لابدَّ من تثقيف الشعوب الاسلامية في هذا الموضوع لأن هناك الكثير من التوجيهات السلمية الانسانية التي قد يقوم بها بعض العلماء والمفكرين والسياسيين من المسلمين ضد كل وسيلةٍ من وسائل العنف الأمني والسياسي من خلال النظرة الفردية المجردة للوقائع، تماماً كما هي الاوضاع البعيدة عن ظروفها الموضوعية، فهم لايفرّقون بين أوضاع السلم وأوضاع الحرب، ولايعانون أوضاع المعاناة للصراع ليتحسَّوا ضغوطه ومشاكله، بل يجلسون في استرخاء في الطوابق العليا للواقع لينظروا الىٰ الناس من فوق ليحكموا عليهم بطريقةٍ تجريديةٍ من دون دراسةٍ لحيثيات هذا الحكم أو ذاك، لأنهم يعيشون في داخل المفاهيم والنظريات بعيداً عن كل إحساسٍ بالتجربة الواقعية للمشكلة.

وختاماً، إن تصدير الثورة ليس شعاراً يُطلق لنضعفه في الواجهة الثورية، وليس مجرد فزاعةٍ يطلقها المستكبرون ليضعوها لافتةً في حركة الثورة المضادة، ولكنها فكر وموقف وحركة من أجل أن ينطلق الاسلام في كل العالم فكراً ومنهجاً وحركةً وثورة من أجل التغيير علىٰ آفاق المستقبل القريب أو البعيد، مما يفرض علينا الكثير من التخطيط الواعي العميق المدروس بشكلٍ دقيق جدّاً علىٰ مستوىٰ الاجتهادات الشرعية التي تؤمن

للثورة سلامتها الشرعية، وعلىٰ مستوىٰ دراسة الظروف الموضوعية للساحة الاسلامية التي تؤمن للثورة سلامتها من الناحية العملية، بعيداً عن كل آنفعالٍ أو حماسٍ أو شعارٍ فضفاضٍ لايتحرك في صعيد الواقع الموضوعي.

لقد انطلق الإمام بتصدير الثورة بعيداً عن القوة والحرب في البداية حتىٰ إذا رأىٰ المستكبرين يتحركون للقضاء علىٰ كل مواقع الثورة في جذورها ليسلبوا الاسلام حقه في حرية الدعوة والحركة بالموعظة الحسنة، والحكمة المتزنة، وليمنعوا المسلمين حقهم في الحرية، ولاحظ أنهم يستخدمون القوة الوحشية الغاشمة.. قال للمسلمين، ما قاله الله: ﴿وأعدّوا لهم مااستطعتم من قوة﴾. وأراد لهم ان يواجهوا القوة بالقوة، والعنف بالعنف.. لأن ذلك هو منطق الاسلام، ومنطق الحياة.. ومنطق الحرية في كل مواقعها في كل زمان ومكان.

هوامش الفصل الثالث

١- سورة الحشر، الآية: ١٩.
٢- الجهاد الاكبر، الامام الخميني، ص ٨.
٣- المصدر نفسه، ص ٢٨.
٤- المصدر نفسه، ص ٢٩.
٥- المصدر نفسه، ص ٨٠.
٦- مختارات من أقوال الامام الخميني، ج ٣، ص ٥٠.
٧- المصدر السابق، ص ٤٨.
٨- المصدر السابق، ص ٦٩.
٩- صحيفة الثورة الاسلامية (وصية الامام الخميني)، ص ٥٧ ـ ٥٨.

الفصل الرابع

الامام الخميني والقضية الفلسطينية

الدكتور فتحي الشقاقي

الحديث عن الامام الخميني وفلسطين يعني الحديث عن أعظم رجال القرن وأخطر قضايا القرون: عن الرجل الرصاصة التي جاءت من القرن السابع الميلادي (صدر الاسلام) لتستقر في القرن العشرين كما قال صحفي عربي كبير، وعن القضية التي حملتها الأمة في أحشائها منذ صدر الاسلام وتعيش اليوم جميع أبعادها الحضارية والعقيدية، السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية. الرجل الذي كان خلاصة العدل المضطهد من التاريخ البشري، والقضية التي جسّدت منذ تفجرها أشد اشكال الظلم والاضطهاد.

الرجل الذي، ومنذ حضوره علىٰ الساحة الدولية قبل أكثر من عشر سنوات، وهو مركز اهتمام العالم، والقضية هي مركز وجوهر الصراع الدولي اليوم.

وهل هي مصادفة أن تكون أخطر قضايا القرن محور اهتمام ونشاط رجل القرن؟!

أم أنه الجدل الذي لابُدّ منه. الجدل المقدس والسنة الإلهية الحاكمة والمهيمنة.

ثم أليس غريباً ان يعطي رجل هذا الاهتمام وهذه المركزية في نشاطه لفلسطين التي تفصله عنها دول وصحارىٰ ومسافات شاسعة؟ أم أن فلسطين ليست مجرد مركز جغرافي، بل آية من الكتاب أو آية من قلب الكتاب، في قلب التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، انها رمز ودلالة. انها عنوان مرحلة ولا يمكن لمسلم أن يفكر في مستقبله دون أن يفكر فيها ودون أن يحدد موقعها منها، ولهذا لم يكن لرجل كالإمام حمل الإسلام كما لم يحمله أحد في هذا القرن إلاّ أن يتعامل مع السؤال الفلسطيني كما لم يتعامل معه أحد من قبل.

بن غوريون وإخفاق نظرية الأطراف

كان «ديفيد بن غوريون» أول رئيس وزراء للدولة اليهودية وأحد أهم مؤسسيها الكبار، كان يطرح نظريته المعروفة باسم «الأطراف» «Peripheries» والتي تقضي ان تدعم «اسرائيل» علاقتها بالدول الواقعة علىٰ محيط ـ أطراف العالم العربي، خاصة ايران وتركيا، فعلاقات قوية مع

هذه الأطراف وغيرها يمكن أن تساعد «اسرائيل» في فك الحصار العربي من حولها، إضافة إلىٰ دعم موقفها الأمني والسياسي والاقتصادي. في هذا الوقت كان الامام الخميني يبدأ نضاله وجهاده ضد نظام الشاه الطاغوتي في ايران، هذا النضال الذي كان من أهم محاوره ـ مواجهة «اسرائيل» ـ كم ستكون دهشة «بن غوريون» كبيرة عندما يعلم أن أقرب الدول العربية الىٰ «اسرائيل» والتي كانت تشكّل الخطر الأكبر عليها ـ مصر ـ هي أول دولة عربية اعترفت بـ«اسرائيل»، وان نجمة «داود» ترفرف اليوم في سماء قاهرة المعز، علىٰ بعد أمتار قليلة من النيل العظيم، في حين غدت ايران اليوم ـ وهي الدولة الأهم ـ في «أطراف ـ محيط» «بن غوريون» ـ غدت الدولة الوحيدة في العالم التي تعلن وتطالب شعبياً ورسمياً، محلياً ودولياً برأس «اسرائيل» وباجتثاث الغدة السرطانية. كم ستكون دهشة بن غوريون لو علم ان مكتب السفارة الاسرائيلية في طهران والتي كانت من أضخم واكبر مكاتب وسفارات اسرائيل في العالم قد تحولت الىٰ أول سفارة لفلسطين في عاصمة من عواصم العالم.

دور السفارة الاسرائيلية في طهران

بعد سقوط حكومة مصدق ١٩٥٣م في ايران اثر الانقلاب المضاد الشهير «**countercoup**» الذي قاده الامريكي «كيريت روزفلت» ـ أحد

أهم رجال المخابرات الامريكية المركزية «C.I.A» منذ تأسيسها ـ وبعد أن اعيد الشاه اثر ذلك من جديد إلىٰ السلطة والحكم، بدأ التغلغل اليهودي الصهيوني في ايران يزداد سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وقيل ان جهاز الاستخبارات الاسرائيلي ـ الموساد ـ قد ساهم إلىٰ جانب نظيره الامريكي في بناء جهاز الاستخبارات الايراني «السافاك». وقد كان الشاه قبل صعود مصدق قد أقام علاقات جيدة مع «اسرائيل» معلناً اعترافه بها، اعتراف الأمر الواقع «**De facto**».

بعد الانقلاب المضاد ـ انقلاب روزفلت وزاهدي وعودة الشاه ـ بدأ اليهود بالتسلل إلىٰ ايران وتمكنوا من السيطرة علىٰ أسواقها كما وصلوا الىٰ أماكن حساسة في الدولة، وذلك بمساعدة البهائيين الذين اعتمد عليهم الشاه في تدعيم نفوذه. ولقد كان حجم تبادل المعلومات بين الطرفين كبيراً، وكذلك كان حجم التبادل التجاري الذي وصل الىٰ ٤٠٠ مليون دولارٍ سنوياً، كما كان الشاه عميلاً تجارياً مهماً في سوق السلاح الاسرائيلي، وكان مكتب الاتصال الاسرائيلي ـ السفارة الاسرائيلية في طهران ـ قلعة بكل معنىٰ الكلمة أقاموها في شارع القصر (فلسطين الآن) وهو شارع اليهود في طهران، وقد كانت السفارة محاطة بمتاريس وأبواب حديدية قوية وفوقها أقاموا جسراً حديدياً خفياً يمكن استعماله في حالة الطوارئ. كما حفروا خندقاً في حديقة السفارة يتصل بسرداب طويل يؤدي إلىٰ أحد أهم شوارع

طهران (بهلوى سابقاً وولي العصر الآن). كذلك كهربوا السور المحيط بالسفارة وأقاموا عليه أجهزة التصوير والمرايا المختلفة لرصد كل حركة حول السفارة، ومن الداخل كانت هناك شبكة اتصالات ضخمة. وقد اكتشف الايرانيون لاحقاً ان جزءاً من هذه الشبكة كان يُستخدم للتجسس والتنصت حتىٰ علىٰ الاتصالات في العالم العربي، كما ان المواد الغذائية داخل السفارة كانت دائماً تكفي لعدة أشهر وان كان مهماً أن نشير الىٰ هذه التفاصيل فللإشارة الىٰ انه رغم العلاقات القوية والاستثنائية للشاه مع «اسرائيل»، فقد كان الاسرائيليون يعيشون حالة رعب من أي تحوّل أو غضب جماهيري، بل وكانوا يدركون مدىٰ كراهية الشعب الايراني لهم وقد تأكد كل هذا عندما هاجمت الجماهير الغاضبة السفارة الاسرائيلية إبان الثورة الاسلامية وطاردت الاسرائيليين الذين هربوا بعد أن أحرقوا أوراقهم وحطموا شبكة الاتصالات اللاسلكية، وقد استشهد من صعقة التيار الكهربائي أثناء الاقتحام إثنا عشر مسلماً ايرانياً. هذا، وقد كان «أوري لوبراني» المدعو منسق الشؤون الاسرائيلية في لبنان اليوم والمسؤول سابقاً في الموساد، هو السفير أو رئيس البعثة الاسرائيلية في ايران.

ويروي محمد حسنين هيكل في كتابه «مدافع آية اللّه ـ قصة ايران والثورة ـ الطبعة الثالثة ـ دار الشروق» ص ١٤٣: أن الشاه أخبره في حديث معه عام ١٩٧٦م: «ان تعاوننا مع «اسرائيل» لايقتصر علىٰ المخابرات فقط،

بل إنه أوسع من هذا بكثير فلقد ارسلت مجموعات من كل أسلحة الجيش وفروع الادارة المدنية للتدريب في اسرائيل».

ومن المعروف ان الشاه ومنذ مطلع الستينات أعاد اعترافه رسمياً باسرائيل من جديد، وكانت جهود آية الله كاشاني قد أسفرت أثناء حكومة مصدق عن سحب هذا الاعتراف. وقد كان لهذا الاعتراف ردة فعل عنيفة في الأوساط العربية والاسلامية، فطلب الشيخ محمود شلتوت ـ شيخ الجامع الأزهر وقتها ـ من الشاه أن يقطع علاقاته باسرائيل. كما ندد المرجع الكبير آية اللّه البروجردي بهذا الاعتراف وأنذر بمغادرة ايران في حالة استمرار ذلك، كما قطعت مصر علاقاتها الدبلوماسية مع ايران .

من الملفت أن ايران الاسلام قامت هي بقطع العلاقة مع مصر بعد أقل من عشرين عاماً علىٰ هذه الحادثة ولكن هذه المرة لأن مصر هي التي اعترفت باسرائيل، وهذه اشارة واضحة إلىٰ حجم التناقض بين نظام وطني جزء من مشروع التجزئة وبين اسرائيل، هذا التناقض الذي لن يمر وقت طويل قبل أن نكتشف مدىٰ هشاشته وثانوية تناقضه مع اسرائيل، في حين يبقىٰ الاسلام وحده هو النقيض والنفي الشامل والكامل لاسرائيل والمشروع الاستعماري.

الامام وفهمه لطبيعة المشروع الاستعماري

في ذلك الوقت ـ مطلع الستينات ـ الذي ازداد فيه ارتباط الشاه بـ«اسرائيل» بدأ الامام الخميني يخوض كفاحه ضد المشروع الامبريالي الصهيوني في ايران، فالامام الذي بدأت ملامح مرجعيته العظمىٰ واضحة في الأُفق كان يدرك بوضوح طبيعة المشكلة الأساس التي يعاني منها المسلمون في ايران وفي كل الوطن الاسلامي.. انه المشروع الاستعماري الذي مزّق وحدة الأُمة وأقام دولة التجزئة، واقام «اسرائيل» كأحد أهم أهداف المشروع الاستعماري. يقول الامام في جواب له علىٰ رسالة من الطلبة المسلمين المقيمين في امريكا وكندا ١٩٧٣م:

«لقد كانت ولادة اسرائيل نتيجة طبيعية للتوافق الفكري بين دول الاستعمار الشرقية والغربية، حيث انهم ـ بايجادها ـ عملوا علىٰ استثمار وتدمير واستعمار واقتسام العالم الاسلامي، واليوم نرىٰ بوضوح دعم كل الأطراف الاستعمارية لها».

وفي بيان له عام ١٩٧٢ حول دعم ومساندة القضية الفلسطينية يقول:

«هذا العصر الذي نشبت فيه براثن الاستعمار في أعماق الدول الاسلامية واستخدم فيه المستعمرون كل وسيلة ممكنة وكل مالديهم من قوة من أجل ايقاع التفرقة بين المسلمين... وتذرعوا بكل ذريعة لغرض إبعادهم

عن التمسك والعمل بالاسلام والتعاليم القرآنية، ليصل المستعمرون بكل اطمئنان الىٰ أهدافهم اللاإنسانية في استغلال الطبقة الضعيفة المحرومة، وفي هذا العصر بثّ الاستعمار أذنابه في أرجاء العالم الاسلامي ليعملوا تحت شعارات برّاقة، وأحياناً تحت شعار الاسلام نفسه من أجل ابعاد تعاليم القرآن وثقافته عن الواقع العملي، لتكون الطريق مفتوحة لمصالحهم الخاصة».

بعد هذا التشخيص الدقيق لطبيعة المشروع الاستعماري وأدواته ووسائله يستشهد بإيران نموذجاً: «فها هي ايران ومايجري فيها من مصائب مدمرة» ولكن أين فلسطين من ذلك.. أين المشروع الصهيوني.

ويقول: «وتلك نكبة فلسطين علىٰ رأس النكبات» وهو يقول ذلك مقارناً مايدور بفلسطين المحتلة بما يدور في ايران الشاه لتبقىٰ فلسطين المحتلة في نظره رأس النكبات، ولكن لماذا تستمر النكبة ويستمر المشروع الصهيوني، يجيب اكمالاً لفهمه الدقيق لطبيعة المشروع الاستعماري: «اختلاف الكلمة وعمالة بعض قادة البلاد الاسلامية لم تمكن سبعمئة (٧٠٠) مليون مسلم بما لديهم من معادن وثروات وقدرات وامكانات من اجتثاث يد الاستعمار والصهيونية ووضع حد للنفوذ الأجنبي، وهذه الأهواء والنزعات الفردية وخضوع بعض الدول العربية للنفوذ الأجنبي المباشر. هذه كلها منعت مئة مليون عربي من تحرير فلسطين من قبضة اسرائيل» ثم

يصرخ محذّراً المسلمين من الهدف النهائي للمشروع الاستعماري: «ليعلموا ان الدول الاستعمارية الكبرىٰ ما كانت ترمي بايجادها اسرائيل الىٰ احتلال فلسطين وحسب، وإنما تخطط من أجل دفع جميع الدول العربية والاسلامية ـ والعياذ باللّه ـ الىٰ نفس المصير الذي انتهت اليه فلسطين».

«اسرائيل» أم زعماء التجزئة في العالم

وهكذا منذ أن بدأ نضاله وجهاده مع مطلع الستينات كانت فلسطين في سلَّم أولوياته لادراكه الجدل القائم بين أنظمة التجزئة القومية وبين اسرائيل، بين الشاه وبين اسرائيل. هذا الفهم والاصرار علىٰ الربط بين الشاه واسرائيل هو الذي أنقذ ايران من براثن الصهيونية ومنع تحويلها الىٰ فلسطين ثانية. هذا الاسلوب الخميني دمَّر الشاه، وكان من الأسباب المهمة لانتصار الثورة لاحقاً. وعندما أدرك الشاه ما يهدف اليه الامام وخطورة ذلك بدأ يرسل تحذيراته الىٰ الامام وتلامذته طالباً عدم الربط بينه وبين اسرائيل ومحذِّراً من الهجوم علىٰ اسرائيل. ولكن الرجل الذي لايخشىٰ الناس مهما جمعوا له والذي تميّز باصراره وعدم تراجعه ورفضه للمساومة والحلول الوسط، الرجل الذي يتمتع بحكمة وحنكة الثوار العظام اتخذ من تحذير الشاه فرصة لمزيد من مهاجمته وفضحه. إذ لماذا يصر الشاه علىٰ ذلك؟: «هل هو يهودي؟ هل هو اسرائيلي؟». يقول الامام في خطاب له

١٩٦٣ في المدرسة الفيضية بقم: «اليوم اطلعوني بأنهم اعتقلوا بعض الخطباء وقادوهم الىٰ مراكز الأمن وقالوا لهم: ثلاثة امور لا دخل لكم بها وما شئتم فتحدثوا، لا دخل لكم بالشاه ولا تتحدثوا عنه، لا دخل لكم باسرائيل، لا تقولوا إن الدين في خطر. ونحن إذا وضعنا هذه المسائل الثلاث المهمة جانباً فبأي شيء نتحدث مع الناس، إن مآسينا انما هي مرتبطة بهذه الأمور الثلاثة» ثم يقول: «إن عملاء اسرائيل يقومون بأعمال تخريبية في ايران والله أعلم بما يسرّون من خطط اخرىٰ، فعندما نتطرق لهذا الأمر يقولون لاتتحدثوا عن الشاه واسرائيل، ترىٰ ماهي العلاقة بين الشاه واسرائيل؟ هل الشاه اسرائيلي؟ لعله بنظر مسؤولي الأمن يهودي وهو يدعي الاسلام ويقول اني مسلم علىٰ حسب الظاهر، لعل هناك سراً في ذلك».

كثيرون هم الذين أوضحوا الخطر الصهيوني ودوره في المنطقة. كثيرون من زعماء وقادة المسلمين والحركات الاسلامية أسهبوا في شرح هذه الظاهرة ولكن كم هم هؤلاء الذين ربطوا بين هذه الظاهرة والخطر وبين حكامهم. كم هم الذين صرخوا بوجه حكامهم بكلمة الحق هذه. وبالفعالية المذهلة التي قام بها الامام الخميني.

وتعليقاً علىٰ اعتراف الشاه باسرائيل وتحالفه معها يقول مخاطباً الشاه: «اما أنتم ودولة تركيا (التي اعترفت مبكراً باسرائيل)، فقد وقفتم صفاً واحداً الىٰ جانب اسرائيل نحن نقول: إن هذا ليس من صالحكم لاتتجاهلوا

مشاعر الشعوب الىٰ هذا الحد، فإنه يعود عليكم بأفدح الأضرار. كل المسلمين في جانب، ودولة ايران في جانب آخر وهذا سيسيء إلىٰ سمعة الشعب الايراني وسيظن اخواننا أهل السنة أن الشيعة هم عبدة اليهود، يا شعوب العالم: اعلموا ان شعبنا يعارض التحالف مع اسرائيل وان حلفاء اسرائيل ليسوا منّا، وليسوا من شعبنا، وليسوا من علمائنا. إن ديننا يلزمنا بمعارضة أعداء الاسلام ومخالفتهم، وقرآننا يقضي بأن لانركن الىٰ الكفر في مقابل صفوف المسلمين. هذا هو منطقنا. أهذه رجعية؟!».

ثم يربط الامام في الخطبة نفسها والتي ألقاها ١٩٦٣ في المسجد الأعظم في قم بين الفارسية التي ينادي بها الشاه وبين اعترافه باسرائيل. بين القومية النتنة المعادية للاسلام وبين هذا الاعتراف، مؤكداً ان هذه هي الرجعية، يقول سماحته: «تعالوا نتحاسب لنعرف أي الفريقين أحق أن يوصف بالرجعية.. أنت الذي تدعي بأن دولتكم أصبحت أمدن دولة، وتحتفل بمرور الفين وخمسمئة سنة علىٰ تأسيسها.. ولا تزال تتبجح وتفتخر بعظام نخرة ورفاة بالية قذرة تريد إحياءها خلافاً للاسلام.. وأنت الذي تفتخر بامبراطوريتك وقدمها.. تتقهقر الآن في أواخر عمرك فتعاهد اسرائيل وتتعاون معها ضد أحكام الاسلام وضد المسلمين، وإذا قلنا.. لا تعقد ميثاقاً مع اسرائيل، قلت: إنكم رجعيون. تبّاً لهذا المنطق وتبّاً لكم وسوَّد اللّه وجوهكم.. هل تعتبر هذه الدولة متقدمة لأنها تحتاج إلىٰ

الأجانب في كل شيء، في احضارها اختصاصيين من اسرائيل، وفي ارسالها بعثات طلابية الىٰ اسرائيل للتعلم».

فقدان الشاه لأعصابه ومجزرة ١٥ خرداد

أمام هذا الاصرار الخميني فَقد الشاه أعصابه ووجّه زبانيته إلىٰ المدرسة الفيضية في «قم» حيث فتحوا رشاشاتهم علىٰ العلماء والجماهير المشاركة في مجلس عزاء الامام الصادق (ع)، ولكن هذا لم يثنِ الامام عن مواصلة جهاده فأصدر بياناً رداً علىٰ المذبحة جاء فيه: «يظن حكام ايران الخونة، أنهم يستطيعون بهذه الأعمال اللا إنسانية وممارسة اساليب الضغط من ايقاف مسيرتنا نحو تحقيق أهدافنا والتي هي: ابادة الظلم والديكتاتورية، والأعمال اللاقانونية، وصيانة الدين الاسلامي، والمحافظة علىٰ حقوق المسلمين، واقامة العدل الاجتماعي...». كما طلب في بيان آخر لاحق من علماء الاسلام والأساتذة والطلاب وسائر الفئات الواعية أن يعبّئوا جميعاً طاقاتهم لخوض الكفاح ضد عملاء الاستعمار والصهيونية في جميع أنحاء ايران واستنكار علاقات الشاه مع اسرائيل. كما دعا في نفس البيان الىٰ دعم ومساعدة الشعب الفلسطيني. ولقد ساهمت هذه الروح الثورية التي أطلقها الامام الخميني في تفجير الوعي الشعبي الايراني تجاه الخطر الصهيوني وبدأت لافتات وهتافات الجماهير الايرانية الغاضبة تحمل

شعارات معادية للصهيونية ومنددة بالشاه الذي أصبح بالنسبة لها «عميل اسرائيل وامريكا».

لم يجد الشاه أمام هذه التطورات إلاّ اعتقال الامام الذي ما إن سمعت الجماهير بخبر اعتقاله حتىٰ خرجت كتلاً بشرية هادرة تهتف «الموت دونك ياخميني»، «بالروح بالدم نفديك ياخميني»، «ليسقط الشاه».. لكن الشاه الذي أعماه غروره أمر الجيش بالتصدي للجماهير فكانت مأساة (١٥ خرداد) التي استشهد فيها خمسة عشر الفاً من مسلمي ايران، ولقد عمت موجة الغضب العالم الاسلامي احتجاجاً علىٰ مافعله الشاه من اعتقال الامام واقدامه علىٰ مذبحة خرداد، وقد وجّه الشيخ شلتوت (شيخ الأزهر) نداءً دعا فيه مسلمي العالم للتضامن مع مسلمي ومجاهدي ايران.. وذلك في ١٠/٦/١٩٦٣م ومما جاء فيه: «... في هذه الفترة تتعالىٰ صيحات، وتتكرر في وضح النهار اعتداءات، ضحاياها علماء الاسلام في ايران، والمبشّرون في دعوة اللّه، والقائمون علىٰ أمر دينه، وليس عليهم من مأخذ إلّا أنهم يعلنون كلمة اللّه»، «... وعلماء الاسلام في ايران قد تكرر الاعتداء عليهم، ونالت ويلات السجن منهم، وحيل بينهم وبين الأمر بالمعروف الذي يطلبه الاسلام من كل قادر عليه والنهي عن المنكر من كل مستطيع له..»، «... وفي تاريخ ايران نفسها خير شاهد علىٰ مالعلمائها من فضل يؤثر، وجهد يُشكر وفدائية في سبيل اللّه والوطن لاتنسىٰ ولاتجحد»، «ألا فلينتبه المسلمون في

كافة الأقطار والشعب المسلم في ايران الىٰ هذا الاعتداء الصارخ وليعملوا علىٰ انقاذ علماء ايران من طغاة ايران». ثم ينهي شيخ الأزهر نداءه الىٰ المسلمين قائلاً: «فاشهد اللهم ان اعتداءً علىٰ حملة رسالتك قد وقع، وان رفع الأذىٰ عن أوليائك فرض في رقاب المؤمنين بك وأنت نعم المولىٰ ونعم النصير».

أمام هذا الضغط تم الإفراج عن الامام الخميني ليعلن في خطابه التاريخي الذي ألقاه بعد أيام من اطلاق سراحه: «إن من أهدافنا.. الاسلام، استقلال ايران، تطهير ايران من رجس اسرائيل والاتحاد مع الأقطار الاسلامية».

عودة الامام الىٰ التحرك مجدداً

وفي بيان أصدره مع عدد من العلماء في تخليد الذكرىٰ السنوية لمذبحة (١٥ خرداد) قال:

«منهجنا الاسلام، وهدفنا وحدة كلمة المسلمين ووحدة الأقطار الاسلامية، والتآخي مع جميع فصائل المسلمين في أرجاء العالم، وتأسيس تحالف رصين مع جميع الدول الاسلامية في العالم، للوقوف صفاً متراصّاً في وجه الصهيونية واسرائيل وكل الدول الاستعمارية، وضد الذين ينهبون ذخائر هذا الشعب المعدم وخيراته».

وأخيراً، كان نفي الامام الىٰ تركيا (٢٩ جمادىٰ الثانية ـ ١٣٨٤هـ) بعد أيام من بيانه التاريخي الذي أعلن فيه: «فليعلم العالم بأن جميع مشاكلنا تنبع من امريكا.. جميع مشاكلنا تنبع من اسرائيل، اسرائيل هي الأخرىٰ جزء من امريكا، وهؤلاء النواب هم أيضاً من امريكا، وهؤلاء الوزراء أيضاً كلهم عملاء وصنائع امريكا».

نعم، هذه هي المشكلة. ثالوث المشروع الاستعماري: الاستعمار ـ اسرائيل ـ عملاء الاستعمار في الوطن الاسلامي، والامام بذلك ينظر الىٰ الأزمة بشمولية بعيداً عن الذرية (تصغير الأشياء) والمفاهيم الجزئية.

وتماماً كما رفض الامام أن يكون مفتياً للحيض والنفاس فهو يرفض أن ينظر بشكل جزئي الىٰ القضية الفلسطينية. يرفض الحلول الجزئية ويرفض أقراص التسكين فليس مثل التفجير الشامل الذي يقتلع هذه الغدة السرطانية اسرائيل الىٰ الأبد. ففي بيان أصدره عام ١٩٦٤ جاء فيه تعليقاً علىٰ مشروع تحويل نهر الأردن الذي ناقشه الحكام العرب في مؤتمر القمة: «... انني أُسائل المسلمين قائلاً لماذا تنازعون اسرائيل علىٰ نهر (الأردن)؟ ان فلسطين كلها مغتصبة فاعملوا علىٰ اخراج اليهود منها أيها المتشاغلون بأنفسكم، كيف تتركون فلسطين محتلة وتذهبون للنزاع حول مياه النهر، انكم عندما تختلفون معها علىٰ ذلك فكأنكم اعترفتم بوجودها حاكمةً علىٰ فلسطين بل دولةً لها الحق في فلسطين»!! وعندما سُئل عن اعمار المسجد

الأقصىٰ بعد الحريق الذي أصاب المنبر والجزء الجنوبي من المسجد قال: «لايجب اعادة إعمار المسجد الأقصىٰ مادامت اسرائيل محتلة لفلسطين، كي تبقىٰ جنايات وجرائم اسرائيل حية وظاهرة للمسلمين مما يبعثهم علىٰ التحرك والعمل علىٰ استعادة الأراضي والمقدسات الاسلامية...» ويقول في «الحكومة الاسلامية» ص ١١١: «... لقد أحرقوا المسجد الأقصىٰ، ونحن نصرخ: دعوا آثار الجريمة باقية، في حين يفتح نظام الشاه حساباً في البنوك، لإعادة بناء وترميم المسجد الأقصىٰ، وعن هذا الطريق يملأ جيوبه وخزائنه ويزيد من أرصدته، وبعد ترميم المسجد يكون قد غطّىٰ وستر كل آثار الجريمة الصهيونية...»».

وهكذا استمر الامام من منفاه ـ كما كان في ايران ـ مدافعاً عن الاسلام وعن فلسطين، محارباً للشاه واسرائيل. ولقد كان حاضراً دوماً في كل ما يخص القضية الفلسطينية والصراع مع اسرائيل. وفي وقت مبكر ١٩٦٨م كان يجيب عن سؤال جماعة من الفدائيين الفلسطينيين: «ومن صورة وجوب المقاومة هل يجوز الصرف من الحقوق الشرعية من قبيل الزكاة والخمس علىٰ موارد تسليح المسلمين وتدريبهم أم لا؟ نأمل منكم بيان رأيكم المبارك في هذه المسائل أدام اللّه ظلكم»، وفي الاجابة المؤرخة (٣ـ ربيع الثاني ـ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م) أفتىٰ بجواز الصرف من الزكاة وسائر الصدقات لهذا الأمر: «بسم اللّه الرحمن الرحيم، كنت قد ذكرتُ سابقاً ان

إقامة دولة اسرائيل الغاصبة خطر عظيم علىٰ الاسلام والدول الاسـلامية والذي يُخشىٰ منه أن يمهل المسلمون هذا الكيان ويضيعوا الفرصة من بـين أيديهم وبعد ذلك لا يمكنهم فعل شيء، وبما ان الخطر علىٰ الاسلام موجود فيجب علىٰ الدول الاسلامية خصوصاً وسائر المسلمين عموماً أن يدفعوا جرثومة الفساد هذه بأي نحو كان وان لايقصروا بمساعدة العـاملين لهـذا الغرض، ويجوز الصرف من كل الزكاة وسائر الصدقات لهذا الأمر...».

وتتكرر فتوىٰ الامام مرة اخرىٰ عام ١٩٧١م فيقول: «من الراجح، بل الواجب، تخصيص قسم من الحقوق الشرعية من الزكاة وحق الامام، بما فيه الكفاية، للمجاهدين في سبيل اللّه، المرابطين في خطوط الشرف والمجد للقضاء علىٰ الصهيونية الكافرة اللا إنسانية، واستعادة المـجد الاسـلامي الجريح وتعزيز التاريخ الاسلامي المشرق، وعلىٰ كل مسلم يؤمن باللّه واليوم الآخر أن يبذل كل جهوده في هذا السبيل...».

وعندما نشبت حرب اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣، أصدر الامام الخميني أكثر من بيان دعا فيه الدول التي تحارب اسرائيل أن تكون جدّية وقوية الارادة في هذه المعركة المقدسة وان تصمد وتقاوم وأن لاتغفل عن التوجيه الإلهي، كما دعا الشعب الايراني «ان يساعد اخوته بكـل الطـرق الممكنة لتحرير فلسطين والقضاء علىٰ الصهيونية..» وقد استهل بيانه الأول الذي أصدره بعد بداية المعركة بأيام قليلة بالآية القرآنية: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ

ثَقِفتمُوُهُمْ وأَخِرجُوهُمْ مِن حَيثُ أَخرَجُوكُمْ وَالفِتنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتِل... وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لاَ تَكُونَ فِتنَةٌ...﴾.

ومع اندلاع الثورة الاسلامية في ايران بقيادة الامام الخميني في مطلع عام ١٩٧٨م لم ينسَ الامام أن يتابع مايدور في فلسطين ولبنان وأن يصدر النداءات المؤيدة للشعب اللبناني والفلسطيني وان يدعو الىٰ نجدة لبنان وانقاذ فلسطين كما كان يؤكد في كل فرصة، وفي غالب أحاديثه مع وسائل الإعلام: «إن من أسباب ثورة الشعب في ايران ضد الشاه هو حمايته اللامحدودة لإسرائيل، وتأمينه لاحتياجاتها النفطية، ولأنه جعل ايران سوقاً للبضائع الاسرائيلية. اضافة الىٰ دعم الشاه المعنوي لاسرائيل مع انه يتظاهر بإدانتها كي يخدع العالم». (وكالة أنباء الشرق الأوسط ١٩٧٨).

وعندما سأله مراسل محطة التلفزيون «B.B.C» (١/١٢/١٩٧٨م):

س ـ فيما لو سقط الشاه وتسلّمتم السلطة مكانه فما هي التغييرات التي ستوجدونها حول العلاقة مع اسرائيل؟

ج ـ سنطرد اسرائيل، ولن نقيم معها أية علاقة، فهي دولة غاصبة ونحن أعداؤها.

س ـ هل يعني هذا أن اسرائيل لن تستفيد من النفط الايراني؟.

ج ـ لن تستفيد مطلقاً.

س ـ لن يضخ النفط الىٰ اسرائيل مطلقاً؟

ج ـ نعم.

ومع اشتعال الثورة الاسلامية.. وانتصارها في فبراير (شباط) ١٩٧٩ كان الحماس الاسلامي يصل ذروته في كل العواصم الاسلامية. وفي يوم الانتصار، كان المسلمون في كل مكان يهنئ بعضهم بعضاً بهذا الفتح المبين وسكنتهم حالة من الفرح النادر. أما في فلسطين المحتلة فلم يكن للفرح الفلسطيني مثيل. الأمة تبعث هنا من جديد، فالذين عاشوا كل تلك السنين تحت الحكم الاسرائيلي وعانوا من العذاب والاحباط واليأس في صحراء العرب القاحلة شعروا لأول مرة منذ سنين ان تحرير بيت المقدس ممكن. بل وقريب وأن المسألة مجرد وقت، لقد أيقظت الثورة الاسلامية الجماهير المسلمة. أما في فلسطين فقد كان هناك بعث جديد ونهضة جديدة.

وفي طهران استُقبل زعماء منظمة التحرير الفلسطينية في الأيام التي تلت الانتصار كما لم يُستَقبلوا في أي مكان من العالم، واستقبل الامام الخميني رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في وسط أجواء احتفال مهيب وذلك بعد اسبوع واحد فقط من انتصار الثورة، وكان رئيس منظمة التحرير قد اتصل بصادق قطب زاده متمنياً الحضور الىٰ طهران فاعتذر قطب زاده ان الوقت غير ملائم الآن، وعندما اتصل رئيس المنظمة بالشيخ محمد منتظري (الابن) قال له الأخير: احضر حالاً.. نحن في انتظارك ويبدو في المفارقة بين اجابة قطب زاده واجابة منتظري الفارق بين النهج الليبرالي

الوطني، وبين النهج الاسلامي الثوري ومع ذلك لم يمض وقت طويل حتىٰ وقف زعماء منظمة التحرير الفلسطينية الىٰ جانب هؤلاء الليبراليين الوطنيين ضد نهج الاسلام الثوري وضد خط الإمام. وفي سنة ١٩٨١ كان هاني الحسن يجتمع بمسعود رجوي زعيم مجاهدي خلق في باريس، وهاني الحسن هو الذي كان أول سفير لمنظمة التحرير في طهران وهو الذي أُنزل أول وصوله في اكبر قصور رجال الشاه ـ قصر امير عباس هويدا ـ وهو الذي خطب في الشعب الايراني: «إن القرآن دستورنا والحسين هو المثل الأعلىٰ للشباب الفلسطيني والخميني هو زعيمنا وقائدنا» وكان رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يقول: «نحن لسنا ثورتين.. نحن ثورة واحدة.. وقائد واحد هو الامام الخميني». ويروي بعض جلسائه انه أشار مرة الىٰ صورة الامام الخميني قائلاً: « يبدو ان الأقدار تصر علىٰ أن يتم تحرير القدس بأيدي غير عربية» مشيراً بذلك الىٰ صلاح الدين الأيوبي ـ الكردي ـ وإلىٰ الامام الخميني، ولكن المشكلة التي فهمها الجميع لاحقاً أن زعماء منظمة التحرير الفلسطينية دخلوا طهران من باب السياسة وليس من باب الاسلام، ولذا فإن العطب الذي أصاب العلاقة لم يكن مفاجئاً لكثيرين. فقد حاول الايرانيون كثيراً العمل علىٰ اسلمة الثورة الفلسطينية أو أسلمة منظمة التحرير الفلسطينية ولكن: هل يصلح العطار ما أفسد الدهر!!! في جلسة استمرت ساعتين ونصف في منزل آية اللّه منتظري حضرها الشيخ

رفسنجاني ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ظلّ الأخير يراوغ أمام ضغط الفقهاء الحضور ملحين علىٰ ضرورة اسلمة العمل الفلسطيني وهو يطرح كل ما لديه من مبررات مضادة. حاول الايرانيون جهدهم وعرضوا علىٰ المنظمة حصة منتظمة من البترول الايراني يتولون بيعها لحسابهم بمفردهم ولكن دون جدوىٰ.

كان زعماء منظمة التحرير الفلسطينية يريدون أن تكون ايران ورقة سياسية في أيديهم يحققون من خلالها أهدافاً سياسية ولهذا كانوا حريصين مثلاً علىٰ التدخل والتوسط في مسألة رهائن السفارة الامريكية في طهران، حتىٰ انه عندما افرج عن الرهائن السود ادعت المنظمة كذباً ان هذا تم بناء علىٰ وساطتها. هذا، في حين بقي موقف رئيس المنظمة محايداً في البداية من مسألة الهجوم العراقي علىٰ ايران قبل أن يتحول بعد ذلك ويتطابق تماماً مع موقف صدام حسين. ورغم تعدد الأخطاء من قبل قيادة المنظمة بدءاً من الخروج الغريب لهاني الحسن من طهران، الىٰ التوسط في مسألة الرهائن الىٰ المراهنة علىٰ المعارضة الىٰ الموقف السلبي من الحرب الىٰ لقاء الحسن ـ رجوي، إلاّ ان الذي قصم ظهر العلاقة كان ترويج رئيس منظمة التحرير الفلسطينية لمشروع الملك فهد والذي عُرف لاحقاً بمشروع فاس. فقد اعتبر الامام الخميني هذا المشروع ـ الذي يكرس الاعتراف باسرائيل ـ خيانة للاسلام والقرآن وهاجم الذين يرون في المشروع نقاطاً ايجابية قائلاً: «لو لم

يكن في هذا المشروع أية نقطة سلبية غير الاعتراف باسرائيل وضمان أمنها وكانت بقية النقاط ايجابية لكان في ذلك الخطر الأكبر» ثم قال: «إنني اطالب الشعوب بالوقوف في وجه هذا المشروع والثورة ضده، وعليهم أن يضحّوا بأرواحهم لإفشاله». وبعد ذلك بفترة ٨٢/٧/١٦ وجّه حديثه مباشرة الىٰ زعماء منظمة التحرير قائلاً: «انني أنصح الزعماء الفلسطينيين في أن يكفّوا عن الزيارات والتنقلات، وان يعبّئوا شعبهم بالاتكال علىٰ اللّه، ويسددوا أسلحتهم لمحاربة اسرائيل حتىٰ الموت، وان هذه الزيارات تؤدي الىٰ ان تفقد الشعوب المناضلة أملها فيكم..».

وهكذا استمر الامام الخميني علىٰ موقفه الذي أعلنه منذ مطلع الستينات فيما تراجع زعماء المنظمة خطوة اثر أخرىٰ الىٰ مانسمع به اليوم من مغازلة لانتخابات الحكم الذاتي. فهل هناك سبب أوضح من ذلك للتناقض الذي حدث.

وأخيراً، يرحل الامام وتبقىٰ ذكراه. يبقىٰ نهجه. يبقىٰ يوم القدس الذي حدده منذ العام الأول لانتصار الثورة، حيث اختار يوماً من أهم أيام تجمّع المسلمين علىٰ مدىٰ العام ـ الجمعة الأخيرة من كل شهر رمضان ـ ليحتفل المسلمون بيوم القدس «يوم القدس، يوم الاسلام.. يوم احياء الاسلام.. يوم ينبغي فيه علىٰ كل مسلم، أن يجهز نفسه لمواجهة

اسرائـيـل، ولا بُدّ أن تـعـود الـقدس الـى الـمسـلـمين.. يــوم يجب فـيـه أن نسعى جميعاً لانقاذ القدس..».

الفصل الخامس

منهج الامام الخميني في احياء القيم الاسلامية

يحيى كريستيان

خصوصيات الثورة

أول نقطة تطرَّق لها الإمام الخميني(رض) في وصيته ـ بعد مقدمة طويلة ـ تتعلّق بخصوصيات الثورة الإسلامية؛ حيث من خلالها نستطيع تبين الوعي الحيّ عند الإمام، والإرادة القوية التي كان يمتلكها لتوعية الآخرين بما يتعلّق بخصوصية الثورة الاسلامية. فلقد عبَّر الإمام عن ذلك بقوله: «يجب عدم الشك، بأن الثورة الإسلامية في إيران تختلف وتتميّز عن جميع الثورات التي حدثت في العالم، في عمقها ووسائلها وأهدافها»[١].

إن هذه الخاصية لم تكن الباعث علىٰ انتصار الثورة الاسلامية فحسب ولكنها، وبالأحرىٰ، الباعث والسبب في حفظها واستمراريتها: «إنَّ سرّ استمرار الثورة هو نفسه سرّ انتصارها...، وأما الدعامتان الأساس لهذا السرّ فهما: الحافز (الدافع) الإلهي، والهدف السامي من تشكيل الحكومة الإسلامية»[٢].

في الواقع، يبدو لنا من الصعب أو من المستحيل أن نفهم أو نشرح الثورة التي قادها وخط مسارها الإمام الخميني(رض) إذا ما أهملنا صفتها الاسلامية التي هي الاساس، وإذا لم نعط هذه الصفة الاسلامية قيمتها الحقيقية، أو إذا فسرناها ضمن شبكة مربعات لاتتناسب معها.

إن جميع الذين تحدّثوا أو كتبوا عن هذه الثورة في بلاد الغرب لم يستطيعوا سبر غورها لأنهم لم يفهموا حقيقتها وخاصيتها هذه. إنهم لم يأخذوا بالحسبان إلاّ الجانب الاجتماعي والاقتصادي أو السياسي ـ في حين أن خاصيّة هذه الثورة لاتكمن هنا ـ أو إنهم استندوا في تفسيرهم إلىٰ تاريخ الثورات السابقة لتقويم الثورة الإسلامية واعتبارها ظاهرة ثورية كغيرها. ولم يقتصر هذا التصور علىٰ الكتّاب الغربيين بل تبعهم في ذلك المسلمون والشيوعيون وأُولئك الذين آمنوا بفكرة العالم الثالث استندوا في تحليلاتهم عن الثورة الاسلامية إلىٰ المراحل التي مرت بها الثورة البلشفية (ثورة البلاشفة الروس) أو التي مرت بها الثورة الشيوعية الصينية أو الجزائرية.

طبعاً، لانستطيع رفض جميع تصوراتهم وتحليلاتهم بخصوص تلك الثورات آنفة الذكر: فالثورة، بشكل عام، تخصُّ الإنسان وهي تتأثر بالأنماط المختلفة للوجود الإنساني. فضلاً عن هذا، فإننا لا نرفض التطورات التاريخية بكاملها، بيد أنه يجب أن نؤكد بأن التصورات آنفة الذكر عن الثورة ليست إلاّ أموراً ثانوية إلىٰ جانب التصور الجوهري والأساس؛

ولا يمكن فهم حقائق الأمور بالاعتماد علىٰ حوادث ثانوية عابرة.

والآن، لنتساءل: ماهو ذلك الأساس الجوهري المميّز للثورة الاسلامية في إيران؟

إنني لا أنوي الرد علىٰ هذا السؤال في هذا العرض القصير، وليس ذلك هدفي الآن، ولكن يمكنني أن ألفت الإنتباه إلىٰ بعض النقاط التي يمكن لها أن تُكَمَّل من قبل الباحثين الآخرين والتي ستسمح لنا بإظهار بعض الخطوط الرئيسة في فكر وحركة ذلك الذي كان بحقٍّ قُطْباً ومحوراً لهذه الثورة الإسلامية في إيران.

لكي نُسَلِّم بأن الثورة الإيرانية هي ثورة إسلامية، علينا أن نطرح السؤال حول القِيَم المتعلقة والمرتبطة بهذه الصفة، وأن نسعىٰ للتعرف علىٰ كيفية تحقيق هذه القيم وإخراجها من القوة إلىٰ الفعل من قبل الإمام وحركته: فما هي تلك التي تشكل بمجموعتها «الغاية الإسلامية المطلقة» و«الدافع الإلهي» التي تحدث عنها الإمام ونادىٰ بوجوب تحقيقها؟

نحن نعلم بأن للإسلام ـ كما في الأديان التي سبقته والتي انبثقت اعتباراً من إبراهيم (ع) ـ منظوراً أساسياً، هو المنظور الغائي (أي أن كل شيء يسير الىٰ غاية محددة له مسبقاً) لذلك فإننا سنبحث قبل كل شيء في أقوال الإمام عن الغاية من بعث الأنبياء وإرسال الرسالات السماوية، ومن ذلك عن الغاية من الثورة والحكومة الاسلامية؛ ثم يجب أن نتوقف حول معنىٰ

البعثة والرسالة بصفتها دعوة إلهية مُحَفِّزَة علىٰ بذل الجهد لتحقيق تلك الغاية والهدف السامي بذلك سنستطيع عرض بعض وسائل أو مراحل تحقيق هذه الغاية. وأخيراً سنرىٰ كيف أن هذه القِيَم الوسيطة (القيم التي نادىٰ بها الاسلام) منسجمة ومتطابقة، من عدة وجوه، مع الهدف النهائي من جهة ومع المنطلق الجوهري من جهة ثانية.

الهدف السامي

في مناسبات عديدة أكد الإمام وبإلحاح أنَّ الهدف النهائي والسامي من بعث الأنبياء بالرسالات السماوية التي كُلِّفوا بتبليغها هو: معرفة اللّه سبحانه وتعالىٰ. في خطبته التي ألقاها بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف في (ربيع الثاني ١٤٠٨هـ /نوفمبر ١٩٨٧م) ركز الإمام علىٰ هذه النقطة الاساس حيث قال:

«إن النبي الأكرم محمداً (ص) لم يُخْتَرْ لحمل الرسالة النهائية من أجل إقامة حكومة، حيث لم يكن ذلك هو الهدف الأساس والنهائي لرسالته السماوية. كذلك الحال بالنسبة لبقية الأنبياء (ع) لم يكن الهدف النهائي من رسالاتهم إقامة العدل وتشكيل حكومات، بل لم يكن ذلك إلّا تمهيداً أو مقدمة لتحقيق الهدف السامي والجوهري من إرسالهم. إن كل المشاق القاسية والمتاعب الكبيرة التي تحملها الأنبياء والرسل ـ من إبراهيم ونوح...

إلىٰ خاتمهم محمد (ص) ـ لم تكن إلّا في سبيل تحقيق الهدف النهائي والجوهري ألا وهو تعريف الناس بخالقهم الذي هو اللّٰه سبحانه وتعالىٰ.

وأيضاً بالنسبة للكتب السماوية المقدسة والتي أهمها وأكملها القرآن الكريم الهدف الأساسي والأصيل منها هو تعريف الإنسان باللّٰه تعالىٰ وبصفاته وأسمائه الحسنىٰ»[٣].

هذا التأكيد علىٰ معرفة اللّٰه سبحانه وتعالىٰ وجعلها الهدف الأعلىٰ لجميع الرسالات السماوية، مع الأخذ بعين الاعتبار النتائج الاجتماعية المترتبة عليها، يكفي وحده لأن يُميِّز وبشكل قاطع الثورة الاسلامية في إيران ليس فقط عن بقية الثورات الأخرىٰ ـ التي تنحصر أهدافها في الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية ـ بل، وهذا أمر أساسي، عن أكثر الحركات الاسلامية الأخرىٰ في الماضي والحاضر. فبعض هذه الحركات الاسلامية اكتفت بالاتكاء علىٰ فكرة «الإيمان التسليمي» أي مذهب «اللاأدري» أي نبذت هذه النعمة الإلهية المتمثلة بـ«العقل» الذي بواسطته يمكن التعرف علىٰ الخالق عزوجل.

أما بعضها الآخر فقد اعتبر تشيد الوضع الاجتماعي وتنظيمه هو الهدف الأساس للرسالات السماوية، وهؤلاء هم الذين يمكن لنا القول عنهم بأنهم أرادوا ـ أو يريدون ـ أَدْيَلَجَة الظاهرة الدينية واعتبارها حالة من حالات التطور الاجتماعي؛ إلّا أن الإمام (رض) لم يتمثل فكر أية حركة من

الحركات «الاسلامية» آنفة الذكر. فأكثر الذين كتبوا عن الثورة الاسلامية في إيران واعتبروها خاضعة للمفهوم العام لتلك الحركات «الاسلامية»، إنما فعلوا ذلك بسبب إهمالهم لفكر الإمام وحركته أو جهلهم الكامل بهما؛ مع أن فكر الإمام وتأكيده علىٰ الهدف السامي للرسالات السماوية وللثورة الاسلامية غير خافيين علىٰ أحد، فقد أعلنهما صراحة في كتاباته وأحاديثه وخطبه التي نشرت علىٰ نطاق واسع.

هذا الإلحاح علىٰ التذكير بالهدف السامي والغاية النهائية: أي معرفة اللّه، وفي خلال جميع مراحل الثورة الاسلامية يذكرنا بأحد المواقف المشهورة للإمام علي (ع) حينما جاءه أحد جنوده وهو في وسط المعركة ليسأله عن معنىٰ التوحيد ومعنىٰ معرفة اللّه تعالىٰ، فتوقف الإمام عن القتال ليجيبه عن سؤاله بكل هدوءٍ شارحاً له ذلك، ولما أثار هذا الموقف بعض أصحاب الإمام أجابهم قائلاً: «ماذا ينفعه القتال إذا لم يَدْرِ لماذا يقاتل؟».

بقي أن نعرف ماهي معرفة اللّه؟ وماذا يعنيه التوحيد عند الإمام الخميني (رض)؟

علم وإيمان

إن معرفة اللّه ليست شيئاً نظرياً عند الإمام؛ والتوحيد لاينحصر بنظرية لاهوتية، أو بحديث بسيط عن اللّه. فالمعرفة النظرية ليست إلّا

مرحلة أولية تمهيدية لمعرفةٍ حقيقية من نوعٍ آخر، معرفة «تُذاق» و«تُعاش» تستطيع التغيير والإحياء، لو اقتصر الإنسان علىٰ مرحلة المعرفة النظرية الابتدائية ولم ينتقل إلىٰ معرفة أعمق وأبعد، فإن تلك المعرفة النظرية ستتحول إلىٰ سجن فكري ضيّق، وستصبح عقبة كبرىٰ في طريق معرفة اللّه حقيقية. في أحد دروسه التفسيرية لسورة الحَمْد والتي بُثَّتْ بواسطة التلفزيون عام (١٩٨٠)، قول الإمام: «لقد جاء الأنبياء ليُخرجوا الإنسان من هذا العالم المادي، من هذه الظلمات إلىٰ منبع النور، لنقل منبع النور وليس الأنوار! فمن جهة توجد الظلمات ومن الجهة المقابلة يوجد النور، النور المطلق. لقد أرادوا ـ أي الأنبياء ـ محق الظلمات بواسطة النور المطلق، حتىٰ ولو كانت تلك الظلمات بمقدار قطرة ماء في وسط المحيط لأفنوها وأزالوها. وحتىٰ هذا المثل قد لا يكون وافياً بالمقام. كل الأنبياء جاءوا لتأدية هذا الواجب، وكل العلوم يجب أن تؤدي إلىٰ هذه الغاية. ولكن يجب الحذر حتىٰ لايتحول علم التوحيد نفسه إلىٰ حجاب يحجب عنا معرفة الخالق»(٤).

وقبل هذا المقطع، يقول الإمام في نفس تفسيره لسورة الحمد: «إن الإعجاب بالدرجة العلمية التي تُوصِّلَ إليها وبالنفس يسوق الإنسان إلىٰ الاعتقاد بأن ماتَوصَّل إليه من علم يحتوي علىٰ الحقيقة كاملة. إن الناس قد شغفوا بما توصلوا إليه من علم فأصبحوا سجناء له. عندما يغلق العلم ـ الذي يجب أن يفتح أعيننا كي نُبصر الطريق ـ الأُفُقَ أمامنا، يمكننا أن نُطلق عليه

اسم الحجاب الأكبر. للأسف، لقد أصبح هذا حال المشتغلين بالعلوم التجريبية أو المتخصصين في العلوم العقلية، وحتىٰ أولئك المتفرغين لدراسة العلوم الدينية. عندما لا يكون القلب نقيّاً فإن ذلك يُنتج العجب المفرط بذاته مما يؤدي إلىٰ نسيان ذكر اللّه. الفكر الذي يجب أن يتوجه كليّاً في صلاته إلىٰ اللّه تعالىٰ، تراه منهمكاً في سؤال علمي. أيّة خسارة أكبر من أن تقف المعارف ـ كعلوم الشريعة والتفسير وعلم التوحيد ـ أمامنا لتحجزنا عن معرفة الحقيقة الأبدية بدلاً من أن تقرّبنا منها؟»(٥).

وهكذا لا يوجد علم، حتىٰ ولو ديني، يكفي وحده، لأنه اذا ما اكتفينا بعلم من العلوم فإنه يحصرنا في زاوية تصوراته ونصبح فيه سجناء منغلقين علىٰ أنفسنا. فماذا ينقصه ـ أي العلم ـ إذاً حتىٰ يصبح معرفة تحررية حقيقية تهدم أسوار السجن لتجعلنا ننطلق نحو معرفة المطلق؟ في الحقيقة، إن ماينقصه ليس علماً آخر يأتي ليُضاف إليه بحيث يمكن أن يصبحا «ظلمات من فوقها ظلمات» بدل أن يصبحا «نوراً علىٰ نور». وليس الذي ينقصه عمل خارجي يأتي لتطبيق هذا العلم. إن ما ينقصه هي تلك الفضيلة، تلك القوة الخاصة التي تستطيع أن تُغيّر وأن تُحيي. هذه القوة هي، بدون شك، تلك القوة الروحية الجوهرية للإسلام: هي الإيمان. فعندما يُحيى العلم بالإيمان فإنه تتشكل من اتحادهما معرفة حقيقية مُنْقِذَة لا تعرف حدّاً يحدها إلّا بمعرفة الخالق جلّ جلاله. يقول الإمام في كتابه القَيِّم «الآداب المعنوية

للصلاة» في ما يتعلق بهذا الخصوص: «فسالك طريق الحقيقة ومسافر سبيل العبودية إذا قطع هذا المنزل بالسلوك العلمي وركب مركب السير الفكري يقع في حجاب العلم ويصل إلىٰ المقام الأول للإنسانية، ولكن هذا الحجاب من الحجب الغليظة وقد قالوا: العلم هو الحجاب الأكبر ولابد للسالك أن لايبقىٰ في هذا الحجاب وأن يخرقه ولعله إذا اقتنع بهذا المقام وسجن قلبه في هذا القيد يقع في الاستدراج، والاستدراج في هذا المقام هو أن يشتغل بالتفريعات العلمية الكثيرة ويجيل فكره في هذا الميدان، فيقيم لهذا المقصد براهين كثيرة فيحرم من المنازل الأُخر، ويتعلق قلبه بهذا المقام، ويغفل عن النتيجة المطلوبة وهي الوصول إلىٰ الفناء في اللّٰه، ويصرف عمره في حجاب البرهان وشعَبه، وكلما كثرت الفروع يصير الحجاب والاحتجاب عن الحقيقة أكثر.

اما المقام الثاني فهو الحصول علىٰ الايمان بالحقائق. والمقام الثالث هو مقام الاطمئنان والطمأنينة، وهو في الحقيقة المرتبة الكاملة من الايمان.

وأخيراً المقام الرابع الذي هو مقام المشاهدة، وهو نور إلهي وتجلٍّ رحماني يظهر في سرّ السالك... وينوّر جميع قلبه بنور شهوديّ. ولهذا المقام درجات كثيرة لا يتسع المجال لذكرها»(٦).

تلك هي إذاً الغاية النهائية لرسالة الأنبياء. وذلك هو إذاً الهدف السامي والمطلق للإسلام: المعرفة التي هي خلاصة قرانٍ بين الإيمان والحكمة،

والتي تبلغ أوجها بمعرفة الله. حيث تنمو وتنبسط بالتأمل والمشاهدة.

هذا الهدف السامي والعظيم ـ أي توجيه المسلمين لمعرفة الخالق الذي يستحق التوقف عنده مليّاً ـ شكل المحور الأساس في حركة الإمام خلال جميع مراحل حياته. هذا الهدف السامي، حتىٰ لو لم يؤد الىٰ تقوية الإيمان والمعرفة اللذين يُخَصّبُ أحدهما الآخر وإنعاشهما لكان كافياً لتمييز الثورة الاسلامية في إيران عن غيرها من الحركات الاسلامية الأُخرىٰ قديمها وحديثها. فالإمام الذي كان واعياً كل الوعي لأهمية هذا الهدف السامي لم يكن أقل وعياً لإحياء القيم الإسلامية الأُخرىٰ. ولنستمع لما يقوله في هذا المجال كما ورد في كتابه الآداب المعنوية للصلاة: «قد وردت الآيات الكثيرة الراجعة إلىٰ لقاء الله ومعرفة الله، ووردت روايات كثيرة في هذا الموضوع مع كثير من الإشارات والكنايات والصراحات في الأدعية والمناجاة للأئمة (ع). فبمجرد ما نشأت عقيدة في هذا الميدان من العوام، وانتشرت بأن طريق معرفة الله مسدود بالكلية، فيقيسون باب معرفة الله ومشاهدة جماله علىٰ باب التفكر في الذات علىٰ الوجه الممنوع بل الممتنع. ومما أوجب الأسف الشديد لأهل الله أن باباً من المعرفة الذي يمكن أن يقال بأنه غاية بعثة الأنبياء ومنتهىٰ مطلوب الأولياء قد سدُّوه علىٰ الناس بحيث يُعَدُّ التفوُّه به محض الكفر وصرف الزندقة»(٧).

مكارم الأخلاق

إن التوصل إلىٰ المستوىٰ الروحي المطلوب يتطلب اجتياز مرحلة العلم إلىٰ مرحلة الايمان، وحتىٰ إلىٰ أبعد من ذلك، أي إلىٰ مرحلة التأمل والمشاهدة. وبتعبير آخر، من الاعتراف بالله إلىٰ معرفته عن طريق بذل الجهد الكبير والصراع الشاق، صراع ضد النفس وكدراتها، وهذا مايسمىٰ في الاسلام بـ«الجهاد الأكبر» الذي يهدف إلىٰ جعل التقشف الفكري ملازماً للتقشف الروحي، أي حتى يكون البحث عن المعرفة ملازماً لعملية بناء الروح وتطهيرها، وإلّا فإن القلب سيكون مثل أرض قاحلة أو آسنة ليس بمقدوره احتواء بذرة العلم وإنماؤها. وفي الوقت الذي يجب أن يكون نمو العلم وازدهاره عن طريق معرفة الله، يجب أن تؤدي التربية الخلقية للإنسان إلىٰ التخلق بخلق الله.

في هذا المجال أيضاً، مجال القِيَم الخلقية والتقشف والزهد الروحي، التي تلتقي بقِيَم المعرفة التي تشكل الهدف السامي للإسلام، كان الإمام واعياً كل الوعي بضرورة إحيائها وتهذيبها. فبلا كلل ولا ملل كان الإمام يكتب ويتحدث، معطياً في سلوكه المثل النقي الصافي في مطابقة عمله لقوله، حتىٰ انتقد الأزمة الخلقية في الحوزات والمدارس الاسلامية وعمل علىٰ تصحيحها وإحياء القيم الاسلامية في المجتمع الاسلامي. ففي هذا الخصوص وخلال فترة إبعاده إلىٰ العراق، ألقىٰ الإمام خطبة خلقية رائعة في طلبة

الحوزة العلمية في النجف، جُمعت فيما بعد في كُتَيِّب تحت عنوان «الجهاد الأكبر» نقتطف منه هذه الفقرات، حيث يقول تحت عنوان «التربية والتعلم أمران لا ينفصلان»:

«إن العلوم التي تدرسونها ليست في الواقع إلّا مقدمة للحصول علىٰ مستوىٰ خلقي رفيع، فحاذروا أن تظلوا إلىٰ آخر عمركم منشغلين بالمقدمة دون أن تحصلوا علىٰ النتيجة. أنتم تدرسون هذه العلوم بهدف سام هو معرفة الله تعالىٰ وتهذيب النفس، فيجب أن تكونوا بصدد الحصول علىٰ الثمرة والنتيجة، فاجتهدوا وجدّوا للحصول علىٰ الهدف الأصلي والأساسي.... وإذا بقيت الحوزات العلمية هكذا خالية من المدرسين الأخلاقيين ومجالس النصيحة والموعظة فإنها محكوم عليها بالفناء. ياترىٰ كيف نعتقد بأن علم الفقه وعلم الأصول بحاجة إلىٰ أستاذ ودرس وبحث.. وأن كل علم في الدنيا وصنعة.. لابدَّ لها من أُستاذ وممارسة... وأن الانسان الذي يسير علىٰ غير هدىٰ ودون تخطيط لا يمكن أن يصبح متخصِّصاً في أي مجال.. كيف نؤمن بهذا ونؤمن في الوقت نفسه بأن علم الأخلاق الذي هو الهدف من إرسال الأنبياء، والذي هو أدق العلوم، ليس بحاجة إلىٰ التعلم والتعليم؟

بدون دراسة لايمكن للإنسان أن يصبح فقيهاً، ولكنه بدون دراسة يمكنه أن يصبح تقيّاً وخلوقاً؟ ورسول الله (ص) يقول «إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

إن علماً قد اهتم به الله سبحانه وتعالىٰ هذا الاهتمام، وبعث من أجله الأنبياء، أصبح الآن غير رائج في حوزاتنا العلمية، ولا نجد أحداً يهتم به، بما يناسبه من الاهتمام، الأمر الذي تسبب في حصول ثغرات في المسلكية الإسلامية، ونقص في النواحي الأخلاقية فتسرَّبت إلينا كثير من المسائل المادية والدنيوية، واحتلت مكان كثير من المسائل الروحية والخلقية إلىٰ أن صار الكثيرون لايعرفون ما معنىٰ أن يكون الإنسان عالماً دينياً؟ وما هي وظيفته؟ وماهو البرنامج الذي يجب عليه اتّباعه، والأعمال التي ينبغي أن يقوم بها؟؟.

لن نستطيع، في هذه العجالة، تقديم دراسة مفصلة عن مكارم الأخلاق التي وردت في حديث رسول الله (ص)، فإن ذلك يتطلب دراسة موسعة عن الأخلاق في الإسلام. ولن نتطرق هنا إلىٰ خصوصيات الإمام الخلقية واحدة واحدة. ولكن بالمقابل، يجب التأكيد علىٰ أمرين خاصين مرتبطين بالهدف السامي للإسلام واللذين كان الإمام يعمل جاهداً علىٰ إحيائهما.

إن مجموع القيم والمعارف الإلهية والخُلقية الأساسية تدخل ضمن العلاقة المزدوجة بين الخالق والمخلوق، بين الله وعبده. فمن جهة، هناك البحث عن المعارف الإلهية التصاعدية التي يترقىٰ بواسطتها العبدُ في درجات المعرفة حتىٰ يصل إلىٰ معرفة الله التي تعني إفناء العبدِ ذاته في ذات

خالقه. وفي المقابل، هناك البحث في طلب الأخلاق واكتسابها والتي تعني أن يتخلص العبد من جميع نواقصه، ويعمل علىٰ تلقي الرحمة وصفات الكمال الإلهية الهابطة علىٰ قلبه حتىٰ يصل إلىٰ درجة اليقين بأن وجوده مرتبط بأكمله بالله تعالىٰ. يجب أن نلفت الانتباه هنا إلىٰ أن هذين الخَطَّيْن الصاعد والهابط ـ من أجل التربية والتكامل الروحي ـ لايمثلان مرحلتين متعاقبتين حتىٰ ولو بدا لنا غير ذلك، ولكن من الواجب أن يكونا متزامنَيْن حتىٰ يحصل المرء علىٰ نتيجة مشرقة مثمرة، كما هو الحال بالنسبة للتشابه والتماثل الدقيق بين أفواج الملائكة الصاعدة إلىٰ السماء وأفواج الملائكة الهابطة، في الوقت نفسه، إلىٰ الأرض.

يمكن لبعضنا أن يتساءل عن العلاقة الموجودة بين هذا الهدف السامي والغاية المطلقة ـ التي تبدو وكأنها لاتتعلق إلّا بالعبد وربه ـ وثورة أو حكومة، حيث الغاية الظاهرة منها ليس إلّا هدفاً اجتماعياً؟ وحتىٰ نفهم ذلك يجب أن نعتبر تحقيق التكامل الروحي ثورة في حدّ ذاتها تمكن الإنسان من تشكيل حكومة في داخله وفي أعماق ذاته لتنفيذ أوامر الله تعالىٰ. وعلينا أيضاً أن نعي بأنه يجب أن يكون هناك هدف سامٍ وغاية كبرىٰ من وراء تشكيل المجتمع وبنائه بحيث تكون تلك الغاية أكبر وأهم من بناء المجتمع ذاته، وبحيث تكون سبباً لبنائه وإقامته. إن الهدف من إقامة هذا المجتمع هو إعطاء كل عضو من أعضائه ـ حسب طاقاته ـ إمكانية تحقيق الهدف

السامي والغاية المطلقة التي تكلمنا عنها آنفاً؛ وهنا يكمن المعنىٰ الحقيقي للعدالة وقيمها التي تتمثل في التوازن والانسجام الاجتماعيين. وهذا ينبثق من العمل حسب القول المشهور لرسول الله (ص): «لكل ذي حَقٍّ حقَّه».

في تفسيره لسورة الحمد يتحدث الإمام حول هذا الموضوع قائلاً: «وبما أن العدل هو أحد صفات الله الحسنىٰ، فإن الأنبياء عملوا علىٰ تشكيل حكومات لإقامة العدل والمساواة في المجتمعات الإنسانية، دون أن تكون تلك المؤسسات الحكومية هدفاً وغاية لرسالاتهم. فإنشاء حكومة، في الحقيقة، ليس إلّا وسيلة لتسهيل إنجاز نشر العدل وإقامته»(٨).

نستنتج من قول الإمام هذا أن هدف الأنبياء الأخير والنهائي هو الله سبحانه الذي هو المبدئ والمعيد لكل شيء. لذا يجب أن نتوقف قليلاً عند هذه القِيَم المنبثقة من الحافز الإلهي.

الدافع الإلهي

يقول رسول الله (ص) في حديث مشهور: «إنّما الأعمال بالنيّات..» فقيمة الأعمال مرتبطة بالدافع لها وبالنيَّة التي تحركها، ولذا يجب أن لا ينخدع المرءُ بمظاهر الأمور، بل يجب مراقبة النوايا وتخليصها من كل ما يشوبها وذلك بطرح الأسئلة التالية: هل الدافع الذي يدفعني للقيام بعمل ما ينبع من رغبة شخصية؟ أَهذه الرغبة متعلقة بهذا العالَم؟ أم بالعالَم الآخر؟ في هذه

الحالة هل هي مصطبغة بالحب الذاتي وبحب العالَم نفسه؟ وكما قال الإمام في حديث له، فإن «أول خطوة هي أن يقهر الإنسان نفسه، وأن ينصاع لأوامر ربه» وبهذا فقط يكون للعمل الذي نقوم به قيمة روحية وهي في الوقت نفسه تتعلق بمقدار درجة نقاء الدافع لهذا العمل وطهارته. ويتابع الإمام (رض) قائلاً: «إنَّ أول درجة ـ في الطريق إلىٰ الله ـ هي درجة القيام: ﴿قُل إنَّما أَعِظُكُم بِواحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لله﴾.

مُرشدوا الطريق (طريق العرفان) يعتبرون القيام أول مرحلة (...)، ولكن يمكن أن لايُشكل إلّا بداية مبدئية تأتي بعدها المرحلة الأولىٰ»[٩].

الإخلاص، تلك النية الصافية في الأعمال، تعني أن لا يكون الخضوع إلّا لله تعالىٰ.. أن يتخلص الإنسان من أي مصلحة شخصية.. أن يُنقِّي قلبه حتىٰ من مجرد التفكير بثمار عمله التي يمكن أن يحصل عليها عاجلاً أو آجلاً، لأن ذلك كله من الله وإلىٰ الله يعود. هذا الإخلاص النقي الصافي أعطىٰ الإمام مقاماً سامياً ميّزه والثورة التي قادها، وبشكل قاطع، عن جميع الثورات الأخرىٰ؛ وهذا لا يعني ـ بنظر الإمام ـ بأن كل من شارك في هذه الثورة كانت نيته خالصة لله، فالأمر كان يحتاج إلىٰ الكثير من الطاقات، والإمام كان يعي ذلك. وهذا يعني أيضاً بأنه طالما لم تُطَهَّر النوايا من الشوائب النفسية العالقة بها فإن الثورة مازالت لم تُنْجَز بعد بشكل كامل. فما هو صحيح بالنسبة للثورة في داخل الانسان، هو تحوَّلُ المخلوق وهدايته، هو صحيح ايضاً

بالنسبة لثورة المجتمع ـ أي الثورة الخارجية ـ التي تؤدي إلىٰ إقامة المدينة الفاضلة، ويبدو واضحاً أن هذه الثورة ذات البعد الثنائي، بدأت مع الرجل (الإنسان) وستنتهي معه بالنسبة للإنسان فإنها تبدأ بمعرفة الله ولاتنتهي إلّا بفناء «الأنا» في ذات الله. أمّا بالنسبة للعالَم فإنها (أي الثورة) ابتدأت مع آدم وسَتَسْتَمر حتىٰ ظهور المهدي في آخر الزمان.

فالذي لم يتوصل إلىٰ إدراك هذا المفهوم عن الثورة الاسلامية ولم يستطع رؤية اليقين الراسخ الذي كان يملأ قلب الإمام ويبعث النشاط والحيوية في قلوب تلامذته ومقلديه، فإنه لم يفهم ولن يفهم أبداً الجذور الحقيقية للثورة الاسلامية في إيران؛ ولن يستطيع أن يدرك أن هذه الثورة ليست فقط ظاهرة فريدة من نوعها في المكان والزمان، ولكنها قبل كل شيء تمثل صَدَىً مُدَوِّياً لنداءٍ عبر الأجيال والتاريخ، وسيبقىٰ يرنُّ بسموٍّ وشموخ في آذان البشر، ذلك هو نداء الإمام الحسين (ع) وثورته العظيمة. فهذا الإمام الخميني ينقل لنا في كتابه «الحكومة الاسلامية» ذلك النداء المدوّي والدعاء العظيم الصاعد إلىٰ السماء، الذي كان يردده الإمام الحسين (ع) قائلاً: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّاً منافسةً في سلطان، ولا التماساً لفضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعمل بفرائضك وسننك وأحكامك»(١٠).

الفقيه

من الواجب أن تكون الفرائض والسنن والأحكام معلومة ومعروفة فلا يكفي القيام لله، بل يجب أن نعرف مايجب علينا فعله. هذه المعرفة، التي يجب أن تنير لنا الطريق وتوجه أعمالنا وتقومها، والتي بدونها تصبح الأعمال عبثاً ونوعاً من الفوضىٰ والهياج؛ هذه المعرفة موجودة كاملةً دون أي نقص فيما أطلق عليه حسب الحديث النبوي المشهور بين جميع المذاهب الاسلامية بـ«الثقلين» اللذين تركهما رسول الله (ص) في أمته لقيادتها وتوجيهها نحو الأهداف السامية. هذان الثقلان هما: القرآن الكريم وآل البيت النبي الطاهرون. فعن طريق معرفة القرآن والتزام أعمال النبي والأئمة وأقوالهم يصبح المسلم عالماً وفقيهاً في الدين؛ وبصفته مؤتمناً علىٰ هذا العلم يصبح الفقيه وارثاً للنبي (ص) ولحاكميته في الأمة، كما جاء في الحديث النبوي الشريف «العلماء ورثة الأنبياء». غير أن إعطاء الوراثة للفقيه ليس حقاً من حقوقه، إنما هو تكليف وجب عليه القيام به إن هو أراد أن لايفقد قدره ومكانته عند الله.

هذا باختصار فيما يتعلق بأسس ولاية الفقيه ومفهومها كما كان يُعَلِّمُها ويمارسها الإمام (رض). ولكن يجب علينا، فقط، أن ننتبه جيداً إلىٰ المعنىٰ الذي كان يطلقه ـ (رض) علىٰ كلمة عالمٍ أو فقيه، والذي يختلف كلياً عمّا هو متداول بين الناس. هذه النقطة تتضح أكثر عندما نطلع علىٰ مفهومه

عن العلم والمعرفة الحقيقية؛ فإنه لايستطيع المرء أن يصبح عالماً بمجرد دراسته لمنابع الدين (حفظ القرآن ودراسة الحديث) بل يجب أن يكون هناك تَفَقُّهٌ في الدين، أي تَفَهّمٌ عميق للدين ومسائله وليس التلقي البسيط لبعض المسائل الفقهية ومصطلحاتها. يجب أن تستمد كلمة عالم وفقيه قيمتها ومعناها من المنابع الأساسية للاسلام ـ القرآن والسنة ـ وليس من المعاني المدرسية المتعارف عليها. ويمكن لنا أن نذكر هنا وصية الإمام علي(ع) لأحد أصحابه ـ كميل بن زياد ـ حول هذا الموضوع حيث يقول له: «الناس ثلاثة: فعالم ربّاني، ومتعلم علىٰ سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلىٰ ركن وثيق»(١١).

وهكذا فالفقيه هو الذي يملك نية نقية طاهرة، ويبذل الجهد في معرفة الله وطاعته ومعرفة أحكامه، ويتحلّىٰ بالفضائل ومكارم الأخلاق، وهو دائماً عالم بما توصل إليه من علم، وطالب متعلم لما يجهله لأنه ﴿وَفَوقَ كُلِ ذِي عِلمٍ عَلِيم﴾. ولكن يجب أن لايخطئ الإنسان مع نفسه بإساءة الظن بها واستحقارها؛ فالإمام لم يكن عنده أية نية لتكوين فقهاء خارج الحوزة العلمية؛ بل بالعكس فإنه كان يظهر تقديره للحوزات وإجلاله للعلماء الذين تخرجوا فيها علىٰ امتداد التاريخ وحتىٰ أيامنا هذه. ففي عام (١٩٨٩) وجّه رسالة مفتوحة إلىٰ علماء الدين، أعرب فيها عن حمايته للحوزة وتقديره

للدور الذي تقوم به: «الحمد لله، فإن الحوزات العلمية تمتلك المنابع الأصيلة والوسائل الغنية والمتجددة من أجل البحث والاجتهاد، ولا أرىٰ طريقاً أكثر ملاءمة من الذي سلكه علماؤنا الأوائل في الدراسة والتحصيل لمختلف العلوم الإسلامية»(١٢).

غير أن الإمام يرىٰ وجوب إنعاش الحوزات بإحياء القِيَم الاسلامية فيها وذلك عن طريق التذكير بالقيم الجوهرية للمنابع الإسلامية الأصيلة.

الثَقَلان

إن أول المصادر الاسلامية الذي ابتدأ معه كل شيء في الإسلام هو القرآن الكريم، حيث يقول الإمام عنه في وصيته: «نحن والشعب العزيز الملتزم التزاماً لاحدّ له بالقرآن والإسلام نفخر بأننا أتباع مذهب يستهدف أن يخلّص حقائق القرآن الداعية بأجمعها إلىٰ الوحدة بين المسلمين بل البشرية، من المقابر ليقدمه باعتباره أعظم وصفة إنقاذ للبشرية من جميع مايكبل يدها ورجلها وقلبها وعقلها من قيود، ويدفعها نحو الفناء والإبادة والرِّقّيّة والخضوع للطواغيت»(١٣).

يجب إذاً أن نتفكر ونتأمل في القرآن الكريم بأسلوب علمي سليم، لأنه معجزة من نوع آخر، يختلف عن المعجزات التي أيد بها الله تعالىٰ بقية أنبيائه كموسىٰ وعيسىٰ لإثبات نبوتهم، حيث لم تكن تلك المعجزات إلّا

براهين بسيطة ووقتية. وليست هناك خسارة أكبر من أن يـتلو الإنســان القرآن خلال سنوات عديدة من دون أن يحقق الحدَّ الأدنىٰ من التغيير في داخله وفي محيطه الذي يعيش فيه. ففي كتاب الآداب المعنوية للصلاة وبعد أن يظهر الإمام تقديره لمفسّري القرآن، يعلن عن أسفه لعدم وجود تفسير حقيقي لكتاب الله يلمُّ بأبعاد كل آية من آيات القرآن المـبين ويـوضحها. فالإمام يقول: «... كتاب الله هو كـتاب المـعرفة والأخـلاق والدعـوة إلىٰ السعادة والكمال، فلا بدّ لكتاب التفسير إذن من أن يكون كتاباً عـرفانياً وأخلاقياً، ومبيناً للجهات العرفانية والأخلاقية وسائر جهات الدعوة إلىٰ السعادة الواردة في القرآن. فالمفسر الذي يغفل عن هذه الجهة أو يـصرف عنها النظر أو لا يهتم بها يكون قد غفل عن مقصود القرآن والهدف الأصلي من إنزال الكتب وإرسال الرسل. وهذا هو الخطأ الذي حرم الأمة الاسلامية لقرون من الاستفادة من القرآن الشريف، وسدَّ طريق الهداية علىٰ الناس. لابُدّ وأن يفتح للناس طريق الاستفادة من هذا الكتاب الشريـف. فـعلىٰ العلماء والمفسرين أن يكتبوا التفاسير، وليكن مـقصودهم بـيان التـعاليم والمقررات العرفانية والأخلاقية وبيان كيفية ربط المخلوق بالخالق، وبيان الهجرة من دار الغرور إلىٰ دار السرور والخلود»(١٤).

ولكن الإمام (رض) ـ بـعكس أولئك المـصلحين الذيـن يـنادون بالعودة إلىٰ التمسك بالقرآن مع إهمال السنّة النبوية، حيث يريدون من ذلك

إهمال شخصية الرسول وقطع كل رابطة بها؛ ـ يعتبر التمسك بالسنّة وبشخصية الرسول الأكرم والأئمة الأطهار واجباً طبيعياً وأمراً ضرورياً لاينفصل أبداً عن التمسك بالقرآن الكريم: «من أجل معرفة النبي الأكرم يجب معرفة القرآن: فكما أن أي واحد منا لا يستطيع معرفة القرآن معرفة كاملة ودقيقة، كذلك لن نستطيع أن نعرف شخصية النبي الأكرم حق معرفتها»(١٥).

وحقاً فإن حياة النبي (ص) والأئمة الأطهار (ع) وأقوالهم وأفعالهم تمثل مظهراً آخر للقرآن الكريم أي تمثل قرآناً عملياً حيّاً يعيش بين المسلمين. ولذلك يتوجب علىٰ المسلمين دراسة النصوص الواردة عن الأئمة وخصوصاً الإمام علي (ع)، حيث جمع الكثير من أقواله وخطبه في كتاب نهج البلاغة الذي يُعد بحقٍّ أعظم منهج ونظام ـ بعد القرآن الكريم ـ للحياة المادية والروحية. علينا أيضاً أن ندرس بدقة وتأمل مناجات الأئمة وأدعيتهم، لأنها بحق تمثل «قرآناً صاعداً إلىٰ السماء»؛ وبشكل عملي يجب أن نتخذ من سلوكهم وحياتهم العملية مثالاً لنا نسير بهديه ونقتفي أثره في تربية أنفسنا من الداخل وفي حياتنا العملية في الخارج.

لقد كرّسَ الإمام(رض) جل مقدمة وصيته لتبيان العلاقة القوية والمتينة التي لاتقبل الانفصال بين الثقلين (تركة رسول الله (ص) بين المسلمين)، حيث عبّر رسول الله (ص) عن تلك العلاقة القوية في حديثه

المشهور بحديث الثقلين حيث قال: «وإنهما (أي الثقلين: القرآن وعترة النبي الطاهرة) لن يفترقاً حتىٰ يرداً عليَّ الحوض». وقد علق الإمام علىٰ ذلك في وصيته بقوله: «كل ما مرَّ علىٰ أحد هذين الثقلين بعد الوجود المقدس لرسول الله (ص) قد مرَّ علىٰ الآخر. وهجران أي واحد منهما، هجران للآخر، حتىٰ يرد هذان المهجوران الحوض علىٰ رسول الله (ص). أَوَ هل هذا الحوض هو مقام اتصال الكثير بالوحدة، واضمحلال القطرات في البحر، أم أنه شيء آخر ليس له سبيل إلىٰ عقل البشر وعرفانه»؟![١٦].

إنجاز أمر الله

حتىٰ يكون العمل مطابقاً لإرادة الله تعالىٰ يجب أن يستمد شرعيته من القرآن والسنة، من أعمال النبي والأئمة واقوالهم، ومتىٰ كان العمل مستمداً شرعيته من هذه المنابع الحقيقية للدين وجب إنجازه والقيام به، حتىٰ ينتقل القرآن والسنة من القوة إلىٰ الفعل ويُعاشا في الواقع العملي لهذا العالم، وحتىٰ تحيا تلك القِيَمُ القرآنية والسنن النبوية في داخلنا ثم تحيا بنا. يجب القيام لله، لإنجاز أمر الله، في سبيل الله وهذا هو باختصار شعار الإسلام وهدفه ومضمونه.

علينا فهم ذلك جيداً كي نستطيع فهم الدوافع العميقة للأعمال العظيمة التي قام بها الإمام (رض)؛ ومنها رسالته إلىٰ «غورباتشوف» التي

استمد مفهومها من مفهوم رسائل النبي (ص) إلىٰ ملوك دول ذلك الوقت وأباطرته؛ فهي (أي الرسالة) لم تعتمد اسلوب التبرير ولكنها وبالعكس تتضمن صيغة الأمر. نعم! لأن «العلماء هم ورثة الأنبياء». إنها دعوة ذات مَغْزىً عميق إلىٰ الاسلام، إنها دعوة إلىٰ دراسة الإسلام في عمقه ومفهومه وليست إلىٰ دراسة شعائره وقوانينه، بل إلىٰ دراسة أصوله وغاياته الإنسانية وما وراء الطبيعية (الميتافيزيقيا) كما هي مبينة في كتب الفلاسفة والاشراقيين المسلمين.

أضف الىٰ ذلك، أن الثورة الإسلامية بأكملها مقررة ومدروسة بهذا الشكل والمفهوم. ففي كتابه «الحكومة الإسلامية»، وبعد ذكر حديث الإمام الحسين(ع) الذي ذكرناه سابقاً، يعلّق الإمام قائلاً: «ويستفاد من هذا الحديث أمران: أحدهما: ولاية الفقيه، والآخر ضرورة قيام الفقهاء بفضح حكام الجور، وزلزلة عروشهم، وإيقاظ الناس وتوعيتهم ثم الوصول إلىٰ تحطيم الكيان الجائر، وإقامة كيان حكومي اسلامي شرعي محله، والسبيل إلىٰ ذلك هو الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»(١٧).

الجهاد في سبيل الله، هو أحد أهم القيم الاسلامية الذي يدخل في جميع الأعمال والواجبات. لقد سبق وتحدثنا عن ذلك الواجب عند حديثنا عن موضوع الغاية المطلقة للإسلام فالجهاد هو جهد شخص مُوَجّه لمعرفة الله والتحلي بمكارم الأخلاق. هذا النوع من الجهاد الأكبر جسّده الإمام في

كافة مراحل حياته، في أقواله وخطبه وكتبه، خصوصاً كتابه «الجهاد الأكبر» وحتىٰ في كتبه التفسيرية والأخلاقية والعقائدية فإنه يؤكد فيها علىٰ البعد المزدوج للجهاد الجهاد الفكري والجهاد الخُلُقي وذلك بتأكيده علىٰ علة فرض العبادات وغاياتها وتفصيلاتها في الاسلام. وهذا مايتبين لنا واضحاً في كتابيه «أسرار الصلاة» و«الآداب المعنوية للصلاة».

والجهاد يكون أيضاً عند الاقتضاء ضد الأعداء من الخارج، من أجل الدفاع عن الاسلام، عن الوطن عن النفس والأهل والأموال. وهذا النوع من الجهاد يتطلب إعداد الوسائل اللازمة والمناسبة للعصر الذي تتم فيه مقاومة العدو الخارجي. فإحياء هذا الواجب الإسلامي يعني إحياء موقف من مواقف الاسلام الجوهرية، والتي يجب إنشاء الوسائل المساعدة لتنفيذه وتطويرها في كل عصر من العصور. هذا التصور عن الجهاد يمكننا تلمسه في الكثير من خطب الإمام وأقواله وخصوصاً في فصل «الدفاع عن الاسلام» في كتابه الفقهي «تحرير الوسيلة»(١٨) فالتصور الجهادي هذا يشكل الأساس لمسيرات البراءة التي كان ينظمها الحجاج الإيرانيون في موسم الحج من كل عام في مكة المكرمة، ويتضح لنا هذا اكثر من كلمة الإمام التي وجهها إلىٰ الحجاج في موسم عام ١٩٨٧: «بدون أي شك إن روح ورسالة الحج لاتتحقق إلّا بعد التزام المسلمين بالجهاد ضد أهواء أنفسهم، وبالجهاد ضد الكفر والشرك. وفي كل الأحوال فإن مسيرة البراءة

من أعداء الله في موسم الحج هي تجديد لتعهدنا وتمسكنا بهذه الفريضة العظيمة. إن مسيرة البراءة هذه تشكل أول مرحلة من مراحل الجهاد، حيث تبدأ بعدها المراحل التالية والتي تتطلب في كل عصر وزمان تصوّرات جديدة وأشكالاً مختلفة وخططاً خاصة»(١٩).

إن طريق الجهاد ـ بمعنىٰ أدق ـ هو طريق التضحية، أي تكريس كل عمل وتوجيهه حتىٰ نصل الىٰ التضحية بوجودنا كله في سبيل اللّه...، وهذا يعني في علم اشتقاق الكلام(٢٠): تطهير العمل حتىٰ يصل إلىٰ مستوىٰ القداسة. هذا التطهير والتقديس يمكن أن يكونا ثمرة للتضحية بالـ«أنـا» بأشكالها المختلفة، وذلك لايتم إلّا عن طريق الارتقاء العرفاني والمشاهدة. ويمكن أن يتحقق ذلك عن طريق القتل في سبيل الله. فالمجاهد المضحي بنفسه بنية طاهرة نقية يكون طاهراً مقدساً وبذلك يصبح شاهداً عند قيّوم السموات والأرض. فالجهاد، وبطبيعته العميقة هو طريق الشرف والسعادة... محفوظ لمن هو علىٰ آستعداد للتضحية بنفسه. وحول هذا الموضوع يقول الإمام في وصيته: «نحن نفخر اليوم بأننا نريد تطبيق أهداف القرآن والسنة، وإن فئات الشعب المختلفة تبذل بولع شديد علىٰ هذا الطريق المصيري الكبير، طريق الله؛ النفس والمال والأعزة»(٢١).

وبما أن الانسان هو خليفة الله في أرضه، فالواجب يحتم عليه أن لايكتفي بتنفيذ أوامره فحسب، بل يجب أن يكون لتنفيذه اوامرَ الله وطاعته

صَدىً وانعكاس، وذلك بتبليغ هذه الأوامر إلىٰ الناس حسب طرق وأساليب محددة في الشريعة، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. هذا الواجب يحصل علىٰ أهمية كبرىٰ عندما يُؤدّىٰ من قبل علماء الدين الكفوئين الذين هم ورثة الأنبياء. وهنا أيضاً يجب أن يبدأ الإنسان بنفسه، وإلّا فمن غير المعقول أن يُطاع الإنسان في أمر هو تارك له، وكما يقول المثل: «الأعمالُ أفصحُ من الأقوال» أو بتعبير آخر «سلوك المرء أفصح من قوله». فواجب التبليغ هذا يتطلب القيام به من قبل الجميع كل بحسب طاقاته وإمكاناته.

إن إهمال هذا الواجب ـ واجب الارشاد والوعظ ـ في الحوزات العلمية دفع الإمام (رض) لبذل الجهد وإعادة الحياة إليه، لأن هذا الواجب من ضروريات حفظ الاسلام والمسلمين، فلنستمع إليه (رض) يقول في كتابه الجهاد الأكبر: «لعل بعض الأيادي الخبيثة تنفث السمّ في أوساطنا وتركز علىٰ عدم أهمية البرامج التربوية الأخلاقية... كما تركز في دعاياتها المغرضة علىٰ أن ارتقاء المنبر للوعظ والارشاد مغاير للمقام العلمي... حتىٰ صارت الشخصيات العلمية الكبيرة تتخوف من الوصف بالمنبرية، وبذلك يتم الهدف الخبيث وهو عزل هؤلاء العلماء المؤثرين وإبعادهم عن توعية الطلاب وتربيتهم تربية خلقية سليمة. لقد أصبح ارتقاء المنبر في بعض الحوزات مشيناً.. غفلة من هؤلاء عن أن الرسول (ص) كان يرتقي المنبر،

ومن عليه كان يوجّه نصائحه إلىٰ الأمة. وكذلك الأئمة (ع)»[٢٢].

العدل

الهدف النهائي من الجهاد. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو هدف الرسالات السماوية نفسه، وهو: معرفة الله تعالىٰ والتخلق بمكارم الأخلاق. هذان الواجبات الاسلاميان ـ الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ يُعدان مرحلة من مراحل الطريق إلىٰ الله، يجب أن يؤديا إلىٰ قيام حالة ملائمة ومناسبة في المجتمع لتحقيق الأهداف الرسالية السامية، هذه الحالة أو الوضع الملائم هو مانسميه بـ: «العدالة» التي هي حالة توازن وانسجام في داخل الإنسان الفرد وفي داخل المجتمع.

إننا لانستطيع، في هذه العجالة، التطرق إلىٰ جميع القِيَم التي تشترك في تحقيق حالة العدالة التي أشرنا إليها وتكوينها، والتي (أي جميع تلك القِيَم) تتجلّىٰ جميعها (اي جميع تلك القيم) في الحديث النبوي الشريف: «لكل ذي حقٍّ حقُّهُ». وإحدىٰ هذه القيم الأكثر أهمية علىٰ المستوىٰ الاجتماعي هي بدون شك حماية المستضعف. عن هذا المبدأ الإِسلامي السامي الذي أعاد له الإمام، من خلال حياته وأعماله وأقواله، حيويته ومكانته السامية في الاسلام، نذكر مثالاً واحداً يبين لنا تمسك الإِمام وبقوة بهذا الواجب وحمايته له والإِلحاح علىٰ تأديته مما قد يدهش الكثير من المسلمين وغير

المسلمين. هذا المثال هو: إعادة الاعتبار للمرأة وإعطاؤها قيمتها ومكانتها الحقيقيتين في المجتمع، فقد قال (رض) في وصيته:

«نحن نفخر بأن النساء بمختلف الأعمار حاضرات زرافات ووحداناً في الساحات الثقافية والاقتصادية والعسكرية، ويبذلن الجهد جنباً إلىٰ جنب مع الرجال، أو متقدمات عليهم، علىٰ طريق إعلاء الاسلام وأهداف القرآن الكريم... وإنهنّ حرّرن انفسهن بشجاعة والتزام من الحرمان الذي فرض عليهن، بل علىٰ الاسلام والمسلمين، نتيجة دسائس الأعداء وجهل الأصدقاء بأحكام الاسلام والقرآن. وتخلصن من قيود الخرافات التي خلقها الأعداء لمصالحهم علىٰ يد الجهلة وبعض رجال الدين غير الواعين لمصالح المسلمين»[٢٣].

إذاً فحالة العدالة الاجتماعية، الناتجة عن التمسك بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سَتُكَوّن القاعدة التي ستسمح بالانطلاق لتحقيق الغايتين الأساسيتين للإسلام: معرفة الله، والتحلي بمكارم الأخلاق؛ بشرط أن لايُغْفَل عن تلك الغاية السامية للإسلام، وأن لا يضعف فينا الدافع الإلهي لتحقيقها! لأن النجاح المؤقت بالنسبة للأفراد، كما هو بالنسبة للمجتمعات، ليس إلّا اختباراً حاسماً يجتازه الفرد والمجتمع. وحسب تعبير بعض معلمي ومرشدي طريق المعرفة والعرفان «فإن البسط في القبض والقبض في البسط».

التكامل

انطلاقاً من الغاية النهائية للإسلام، بشكليها الأساسيين: معرفة الله والتخلق بخلقه، نكون قد أتينا علىٰ ذكر أهم القيم الاسلامية الجوهرية التي يجب نقلها بالجهد والمجاهدة من القوة إلىٰ الفعل. وهناك دافع إلهي قوي لإحياء السنن النبوية الشريفة وتطبيقها كي يتم إنجاز أمر الله عن طريق بذل الجهد في هذا الطريق وعن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتىٰ تتم عملية التنقية وإيصال القلوب إلىٰ درجة القداسة والطهارة.

هناك رباط مزدوجٌ للعلاقات يتمحور حول قطب مكوّنٍ من أمرين اثنين ـ تركهما لنا رسول الله (ص) وأوصانا بالتمسك بهما وهما: الثقلان.

فإحدىٰ هاتين العلاقتين هي علاقة عمودية بين العبد وربه، مشدودة من طرفيها: سعي وجهد صاعد من قبل العبد لمعرفة الله، وأوامر الله الهابطة إلىٰ الإنسان للتخلق بخلق الله.

العلاقة الثانية هي علاقة أُفقية بين عباد الله من جهة والثقلين من جهة ثانية.

وفي نقطة التقاء هذين المحورين (العمودي والأفقي) هناك القرآن الكريم الهابط علىٰ المحور العمودي علىٰ قلب متلقيه والمكلفين بتبليغه، رسول الله والأئمة الأطهار الذين اصطفاهم الله سبحانه أولياء له من بين الجميع.

إن تكاملية هذه القيم هي نتيجة مباشرة لهذا الحديث النبوي الشريف الذي ذكرناه سابقاً «لكل ذي حق حقه»؛ إنها تتضح جليّة من خلال الرسم البياني للعلاقات المحورية التي أتينا علىٰ ذكرها آنفاً؛ وتتضح أيضاً من خلال تكاملية أبعادها الظاهرية والباطنية ومن خلال تكاملها وتأثيراتها علىٰ الفرد والمجتمع.

إنه جدير بالملاحظة، أن نستنتج من خلال ماقدمناه سابقاً، أن هذا التكامل واضح جليّ في شخصية الإمام وحياته العملية. فكم كان يبذل من جهد بقوة وصلابة لإحياء هذه القيم عند الفرد والمجتمع. ولكن هل هذا يعني أن تلك القِيَم الاسلامية كانت ميتة أو في حال الاحتضار عند المسلمين؟ طبعاً، لا، فقد كان هناك حُرَّاسٌ لهذه القيم هنا وهناك، ويمكن أن يكون عددهم أكثر مما يُتَصَوَّرُ. ولكن كل واحد ـ من هؤلاء الحرّاس ـ كان يحافظ علىٰ شكل من أشكال هذه القيم: عرفاني، أخلاقي، فقهي، سياسي... إلخ..، وبعضهم كان يحافظ علىٰ عدد من هذه القيم ويتمسك بها، بحيث أصبحوا من كبار المرشدين والمعلمين في هذا المجال.

هوامش الفصل الخامس

١- جريدة كيهان العربي، رقم ١٦٧٨، ١٧/ ٧/ ١٩٨٩.
٢- المصدر نفسه.
٣- مجلة بيام اسلام باللغة الفرنسية، العدد ٥٠، فبراير ١٩٨٨، ص ٥.
٤- تفسير الإمام لسورة الحمد، مجلة بيام اسلام (رسالة الاسلام)، بالفرنسية، العدد ٧، ديسمبر / ١٩٨١، ص ٣٦.
٥- تفسير سورة الحمد، مجلة بيام اسلام (فرنسية)، العدد ٦، سنة ١٩٨١، ص ١١.
٦- الخميني، آية الله، الآداب المعنوية للصلاة، ترجمة السيد الفهري، ص ٣٦.
٧- الآداب المعنوية للصلاة، المصدر السابق، ص ٣٤١.
٨- مجلة رسالة الاسلام (فرنسية)، العدد ١١، سبتمبر / ١٩٨٢، ص ٤٢.
٩- مجلة رسالة الاسلام، العدد ٧، ديسمبر / ١٩٨١، ص ٣٦.
١٠- الخميني، الامام آية الله، الحكومة الاسلامية، ص ١٠٦.
١١- نهج البلاغة، تنظيم صبحي الصالح، ص ٤٩٦.
١٢- جريدة الهلال، ١٦ ـ ٣١/٥/ ١٩٨٩، ص٦.
١٣- وصية الإمام الخميني، ص ١٠
١٤- الآداب المعنوية للصلاة، المصدر السابق، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٥.
١٥- مجلة رسالة الاسلام (فرنسية)، العدد ٥٠، فبراير ١٩٨٨، ص٥.
١٦- وصية الإمام، ص ٨.
١٧- الحكومة الاسلامية، المصدر السابق، ص ١٠٣.
١٨- الخميني، الامام آية الله، تحرير الوسيلة، طبعة بيروت، ج ١، ص ٤٨٥ ـ ٤٨٧.
١٩- جريدة كيهان العربي، ص ٩.
٢٠- بالنسبة للغة الفرنسية.
٢١- وصية الإمام، ص ١١.
٢٢- الخميني، الامام آية الله، الجهاد الأكبر، ص ٢٧.
٢٣- وصية الإمام، ص ١١.

الفصل السادس

الامام الخميني وحقوق المرأة في الاسلام

الدكتورة زهراء المصطفوي

تمهيد

من خلال الحديث عن موضوع «الامام وحقوق المرأة في الاسلام» أودُّ الاشارة الىٰ موضوعين مهمّين:

١ـ في البداية لابد لي من توضيح هذه الحقيقة وهـي ان الاسـلام والامام، لا يعتبران المرأة مخلوقاً يختلف عن الرجل، بل يعتبرانها متساوية مع الرجل في الخلق، والطاعة والعبودية، والعقاب والثواب، بل ان الامـام كثيراً مايؤكد علىٰ قضايا المرأة وشؤونها من قبيل تخصيص يوم للمرأة دون الرجل وغيرها من المسائل التي استهدف منها إعطاء المرأة قيمتها ومنزلتها المرموقة.

٢ـ ان هناك نقصاً كبيراً في عملية البحث والدراسة حول حقيقة المـرأة وحقوقها المشروعة، من أجل مواجهة كل أشكال النظرة السطحية والفكرة السيئة حول المرأة، فالبحث في هذا الامر، يعني البحث والتعرف علىٰ حقيقة

شأنها في ذلك، شأن أي موجود آخر في هذا العالم الذي يجب ان يخضع هذا المخلوق الشريف وموقفه الحقيقي في المجتمع، من وجهة نـــظر الاســلام، للدراسة والبحث الكافيين، وحيث ان هذا البحث والتقويم، يقومان عــلىٰ اساس معرفة صحيحة للعالم، فان رسم حــدود حـقوق المــرأة أو الرجــل وأبعادها سيعتمد بشكل كبير علىٰ طبيعة نظرة الباحث إلىٰ العالم. فــالذي يقوم فكره علىٰ اسس اقتصادية مادية، تختلف نظرته إلىٰ المرأة عن نـظرة ذلك الذي ينطلق من اسس فكرية دينية وتوحيدية، لكن نقطة الخلاف هنا هي أنَّ كلا الاثنين يناديان بضرورة حصول المرأة علىٰ حقوقها المشروعة. ولعله يبذل مساعي جمة في هذا السبيل، فمن هو الاقرب الىٰ الواقــع، أهــو النظام الرأسمالي الاقتصادي؟ أم النظام الاسلامي؟

ونحن نرىٰ ان لا فائدة من الخوض في هذه البحوث، مالم يتم تغيير النظرات الىٰ العالم، ومالم يتم البحث في منزلة البشر عموماً، والمرأة خصوصاً.

ومن غير الأخذ بنظر الاعتبار الهدف من الخلق، لايمكننا الادّعاء بأننا أدركنا معنىٰ الحقوق التي تستحقها المرأة، والتي تتناسب مع موقعها في عالم الكون وأبعادها، وعلىٰ هذا الاساس فإننا نعتقد بأن الله الخالق للبشر، العالم بخفايا وجودهم وحاجاتهم الخفية والظاهرة، هو الوحيد القادر علىٰ وضع قانون عادل للبشرية.

للوهلة الأولىٰ، قد يبدو حديثي غير مقبول حول اسـتطاعة المـرأة

اثبات وجودها، وتبوئ مقعدها من الساحة العالمية، من خلال التحرك المدروس والنهوض بالمسؤوليات التي أقرها لها الباري عزوجل، وذلك بلحاظ الهيمنة الفكرية الغربية علىٰ مشاعر غالبية المجتمعات وأفكارها وأحاسيسها، لكن إنعام النظر في هذا الأمر، يعطينا الأمل بأن المرأة المسلمة، في ظل التربية القرآنية ودعم الاولياء المسلمين الحقيقيين وتأييدهم، يمكنها القضاء علىٰ الافكار التحقيرية للمرأة، وكشف حقيقة ما يقال من أن الثقافة الغربية قد أعطت المرأة حقوقها، والاثبات للعالم بأَنَّ الاسلام يملك أفكاراً ـ فيما يخص المساواة بين الجنسين وإعطاء كل منهما حقه ـ تفوق ما يطرحه الغرب بكثير.

وقد آن الأوان لأن تستعيد المرأة منزلتها في العالم، وليس هناك من انسان عادل لا يعترف بهذا الحق المشروع.

وواضح من حديثي انني لا أبتعد ـ خلال خوضي في هذا الامر ـ عن تحديد المؤامرات والأحابيل العسكرية الاستعمارية وكشفها، ذلك أن البحث يدور حول مخلوق ذي منزلة، ألا وهو المرأة، ولا فائدة من بحث ذلك بدون الخوض في ماهية المرأة وعواملها الذاتية وعوامل انحرافها أو انزوائها، أو سقوطها وانحطاطها.

وطبيعي انني لا أهدف هنا الىٰ التمسك بتعصب، بعقيدتي وإلقاء اللوم علىٰ العقائد الأخرىٰ، ذلك ان كلّاً من التأييد غير المنطقي، واللوم والتفنيد

غير القائم على الأدلة المنطقية، لا محل لهما في الفكر الاسلامي، بل إن الهدف هنا هو التعرف ـ بحياد ـ على حقيقة ظلت محجوراً عليها حتى لدى الأصدقاء احياناً. ويجب أن أشير هنا الى ان هذا الحجر والهجران لهذه الحقيقة، لم يتم على أيدٍ اجنبية فقط، بل إن جزءاً كبيراً من ذلك يتحمله الكبار من اصحاب الظاهر الفقهي والديني الاسلامي(١).

إذن، يمكن تلخيص ما أهدف إليه، بأنه عملية هدم وتشييد على أساس أسلوب تحقيقي، يقضي بتأييد التقدم الصناعي الغربي والشرقي الذي لايتعارض وعقيدتنا الاسلامية التي تريد للمرأة السمو والعزة، أمّا مايتعارض منها وعقيدتنا، فنرفضه بلا تهاون أو مجاملة، حتى لو اضطررنا أحياناً الى تطوير هذا الرفض الى شقاق وغضب، كي لانظل نحترق بنار هؤلاء ونسلك مايسلكون، فإمامنا الراحل العزيز في مقابلة أجراها معه مراسل إذاعة وتلفزيون لوكسمبورغ في ١٩٧٩/١/١٠ قال: «الدولة الاسلامية ليست رجعية، إنها مع كل مظاهر التحضُّر، إلّا ما جلب منها الضرر للأمة، وتعارض مع عفتها، وخدش حياءها العام، ان الاسلام لايؤيد حرية المرأة فحسب، بل انه هو الذي وضع أساس هذه الحرية من جميع الأبعاد الوجودية للمرأة»(٢).

إذن، علينا أولاً، التعرف على حقيقة المرأة وحقوقها وحاجاتها البدنية والمعنوية وطموحاتها وآمالها، وان نثبت خطأ الرأي القائل بان

جسم المرأة فقط هو الذي يستقطب الرجل، ثم المبادرة الىٰ التصدي للأفكار المنحرفة التي شاعت في الماضي في الشرق والغرب، فأدت الىٰ حرمان المرأة من أبسط حقوقها، كالزواج وتشكيل العائلة، وفرضت عليها قيوداً قاسية ـ بدنية ـ ونفسية، واحياناً باسم الدين، ثم جاء رد الفعل العنيف علىٰ ذلك الوضع، متمثلاً بانحراف آخر ظهر في الغرب في شكل سقوط حاد إلىٰ الهاوية، من خلال التحَلُّل من كل الحدود والضوابط، وتجاهل التعاليم الدينية الأصيلة السامية التي لاتعرف التطرّف، وظهر الانحراف في الشرق في شكل رفض لفكرة الايمان، وإنكار وجود الخالق والوحي، وتصويرها علىٰ أنها خرافات وأوهام، حتىٰ أصبح الجميع يديرون عجلة المجتمع بصورة آلية. واصبح الانسان لايؤمن إلّا بالمادة، التي عليه ان يوفر كل احتياجاته من خلالها فقط.

وطبيعي ان كلا الانحرافين، يتشابهان في الماهية ويتحركان في اتجاه هدف واحد، ولا يختلفان إلّا باساليب الوصول إلىٰ هذا الهدف، فأحدهما يعتبر المجتمع هو المحور، والآخر، يعتبر الفرد كذلك، والوصول إلىٰ هذا الهدف يستدعي القيام أولاً بإلغاء الجوانب الظاهرية للدين، ومن ثم المبادرة إلىٰ إلغاء أصل فكرة الدين، وقد وسّعوا هذا الفكر وصدَّروه إلىٰ الدول الخاضعة لسلطتهم خاصة في العالم الثالث.

وجاء الامام ليؤجج الشعلة التي ظلت خامدة تحت رماد الزمن، وطرح من خلال ذهنه الوقّاد ونظرته الفاحصة، الاسلام المحمدي الاصيل، الاسلام الذي يعارض القمع الذي مارسته الكنيسة، والإلحاد الشيوعي علىٰ حدٍّ سواء، ودعا الانسان، ومنه المرأة، الىٰ العودة لمعرفة الذات، ورفض الهزيمة الذاتية التي أُصيبوا بها.

وفي الوهلة الأولىٰ، منح الامام المرأة المسلمة، هذه القناعة، وهي أنّها تجد نفسها وحقيقتها، في ينبوع المعارف الاسلامية الصافي، وعندها ستصل مرحلة الوعي، وستتعرف علىٰ عوامل السوء والانحراف لتتوقّاها. لقد أكد للمرأة المسلمة أنها مغيِّرة وليست متغيِّرة، مؤثِّرة وليست متأثرة، وأن عليها ان تدرك ان نتائج الفكر المنحرف بشأن المرأة ستسري الىٰ جميع الشؤون الأخرىٰ للحضارة البشرية، وان علىٰ المرأة ان تتعرف علىٰ نفسها وأن تعلم أنها موجود قادر علىٰ التحليق نحو أسمىٰ مراتب الكمال الإنساني بكل سهولة، وأنّ وجودها منح التاريخ إشعاعاً خالداً، والثورات والنهضات، بريقاً خاصاً لكنها مع ذلك تعرضت للظلم وطمس الشخصية في المجتمعات المختلفة، ولم يعيروا اهتماماً إلّا لجسدها.

وإذا كان عرب الجاهلية في البادية يدفنون المرأة وهي حية فإنهم كانوا يدفنون جسدها فقط، في حين أننا نشهد في عصر الفضاء كيف يقبرون روحها وشخصيتها، والإمام علي(ع) يقول: «عجبت لمن ينشد ضالته كيف

لاينشد نفسه».

أما الإمام الخميني(رض) فيقول: «أول منازل السلوك، هو اليقظة». والخواجة عبد الله الأنصاري في كتابه (منازل الصالحين) الذي هو كتاب منازل أهل السلوك يقول: «إن أول منزل هو منزلة اليقظة، منزل الوعي» ويستشهد علىٰ ذلك بالآية الشريفة (ان تقوموا...) فهي تدعو إلىٰ اليقظة لأن ذلك جزء من القيام. وجميع النهضات التي تحدث في العالم إنما هي قيام من الغفلة، وهي مرحلة تلي اليقظة، ونحن سكارىٰ وغافلون في هذه الطبيعة التي استقطبت كل جوارحنا، نتلقىٰ النداء الإلهي الذي يدعونا الىٰ اليقظة من هذا النوم»(٣).

وبناء علىٰ قاعدة: «تعرف الأشياء باضدادها» فان علينا أن نعرف أولاً كيف تكون الغفلة عن الذات وكيف تتكون هذه «الذات» الطفيلية لنستمع إلىٰ الجواب من لسان قائد الثورة الكبير الذي قال: «الممارسات المنحرفة ظلام، الاخلاق السيئة ظلام، أمّا النور، فهو مادعا إليه الباري عزوجل، وأرشدنا الاسلام اليه، اسعوا للعمل بأحكام الاسلام، وادفعوا الآخرين للعمل بها أيضاً»(٤).

نعم، انه لأمرٌ طبيعي أن ينقلب الخير والوجود لدىٰ الانسان الىٰ شر وعدم، ويصبح الانسان غريباً عن ذاته، أو كما يصطلح عليه الغربيون، بـ(آليناسيون)، فيما لو طمست القيم الإلهية والإنسانية الأصيلة وتلاشت

الخصال الفطرية السامية. وقد عرف السلطويون هذه الحقيقةَ جيداً فاستهدفوا بأحابيلهم وأساليبهم الخبيثة الروح الإنسانية خاصة المرأة، التي هي المربية والمشيِّدة للمجتمع البشري، فدفعوها إلىٰ الانحطاط والتغرب عن الذات، والتطلع إلىٰ مالدىٰ الأجنبي.

ولأجل الوصول إلىٰ هذا الهدف، كان لابد من مواصلة عملية إهانة واحتقار العالم الثالث والمسلمين، وأفكارهم وعقائدهم وتأريخهم، ودفعهم الىٰ التشبُّه بهم في كل حركاتهم وسكناتهم وممارساتهم وآمالهم وطموحاتهم. لقد عملوا علىٰ سلب المرأة شخصيتها وذاتها، لتأتي المرحلة القادمة التي ستنتج لهم جيلاً يتلاءم مع أفكارهم ومشاريعهم الاستعمارية، مستخدمين في ذلك المؤرخين وعلماء الإجتماع والاقتصاد والتربية والتعليم، من أجل القضاء علىٰ الفطرة الإلهية للإنسان ﴿فطرةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيها﴾. وخَلْق أزمة ضياع الهوية الحقيقية، لتهيئة الأرضية المناسبة لسياساتهم. من هنا نرىٰ الإمام يركز علىٰ شخصية المرأة وحقوقها ويحذِّر من التأثيرات الخارجية كما جاء في بيان له بمناسبة يوم المرأة عام (١٩٨٠) حيث يقول:

«فاطمة الزهراء امرأة كان لها من الفضائل مالايقل عن فضائل النبي الأكرم (ص) وأهل بيت العصمة والطهارة، علينا الاهتمام والتركيز علىٰ فضائل المرأة، فقد سعت الأقلام المسمومة والكلمات والاحاديث المأجورة

والجاهلة، خلال الخمسين عاماً الماضية من العهد البهلوي، إلىٰ تحويل المرأة إلىٰ سلعة فقط»[٥].

وبعد أن يحدد الإمام، أهمية الموضوع، وأبعاده الواسعة يتوقع للمرأة مستقبلاً مشرقاً، ويصف المرأة بأنها مربية المجتمع، وأن حجرها هو منطلق الأمن والعروج الإنساني، فهو يطرح اسم المرأة دائماً مقروناً بمعاني التربية والدور البنّاء، أماً وزوجةً، وليست لعبة بأيدي الأقوياء المتسلطين، وفي رده علىٰ ممثل منظمة العفو الدولية يقول الإمام الراحل:

«الاسلام أناط بالمرأة دوراً مهماً وحسّاساً في بناء المجتمع الاسلامي، ورفعها إلىٰ المستوىٰ الذي تستطيع فيه أن تتبوأ منزلتها الإنسانية في المجتمع، لتخرج من كونها سلعة الىٰ كونها إنساناً بنّاء، وعلىٰ أساس هذا التفكير تستطيع أن تتولىٰ مسؤوليات داخل الحكومة الإسلامية»[٦]، ذلك أن المرأة هي «مظهر لتحقيق آمال البشرية»[٧]، وأن «حجر الأُمهات يمكن أن يكون مصدر الخير أو الشر»[٨]، وأن «المرأة مربية النساء والرجال، وحجرها منطلق لعروج الرجل»[٩]. كما أكد دائماً علىٰ أنّ «الاستهانة بمسؤوليات الأم، انما هي مؤامرة من قبل الأجانب».

وهكذا نرىٰ الإمام يتخذ موقفاً صارماً وواضحاً من كل أُولئك الذين يدّعون التحضر والوعي، الذين يعملون، عن جهل أو عن عمد، علىٰ دفع المرأة بعكس اتجاهها الحقيقي، وتشجيعها علىٰ الأعمال والتصرفات

المستهجنة، وإغرائها بالوظيفة، بدلاً من دفعها إلىٰ النمو والكمال المعنوي، وبالتالي الاضطلاع بالدور البنّاء المناط بها. وهو يعتبر ذلك، نهجاً رجعياً وليس تقدمياً، ذلك ان التقدم لايتم إلّا بالسير التكاملي المعنوي والحقيقي.

وأمّا فيما يخص الموضوع الأول، فعلىٰ أساس النظرة التوحيدية للعالم، لاتوجد هناك، من حيث الأساس، فروق بين الرجل والمرأة. ومنذ إعلان العام (١٩٧٥)، عاماً عالمياً للمرأة، جرىٰ العديد من الدراسات والبحوث حول شؤون المرأة في أنحاء العالم، لكن الاهتمام بوضع المرأة المعاصرة، بدأ مع ظهور النهضة الصناعية والتطور التكنولوجي، وحيث إنّ المجتمع الغربي يسير نحو الرأسمالية التكنولوجية التي تشكل محور نشاطاته الاجتماعية والاقتصادية. فقد أدىٰ ذلك تدريجياً إلىٰ نسيانه الأصالةَ الثقافيةَ، وكانت النتيجة حصول تغيرات عديدة وجذرية في علاقة الرجل بالمرأة. ومن أكثر أخطاء المجتمع المعاصر إثارة للدهشة، هو التحرك باتجاه إلغاء كافة أشكال التباين النوعي بين الظواهر المختلفة، وانحطاطها جميعاً إلىٰ مستوىٰ واحد تحت اسم المساواة والديمقراطية. وفي عصرنا أصبحت القيم المادية هي المعيار لكل الممارسات والسلوكيات، وفي الوقت نفسه أصبح الاهتمام منصبّاً علىٰ الكمِّ أكثر من الكيف، الأمر الذي أدّىٰ إلىٰ إلحاق أضرار كبيرة بالمجتمع المعاصر وأصبحت النتائج السلبية لهذا النهج اكثر وضوحاً، في علاقة المرأة بالرجل، ودور المرأة في المجتمع.

إنَّ وضع المرأة في المجتمع، لم يكن ـ يوماً ما ـ مطابقاً لتعاليم الاسلام، منذ ظهوره وحتىٰ الآن، وهذا الهبوط في درجة التزام المسلمين بالتعاليم الدينية أدىٰ إلىٰ هبوط المستوىٰ الفكري للمجتمع الاسلامي، وظهور مشاكل عديدة. بينما الاسلام قدم لنا تعاليم سامية تأخذ بنظر الاعتبار التوحيد، والفطرة الإنسانية، وطبيعة الخلق، بحيث تعامل جميع المخلوقات بدرجة متساوية رغم التباين الموجود بينها. أي إنها جميعاً مخلوقة من قبل الباري عزوجل، لكن الإنسان يتميز عن باقي المخلوقات بقابليات ومؤهلات أكثر، لذلك فهو يتحمل مسؤوليةً في نظام الوجود، أمّا المجتمعات الغربية فإنها لاتنظر إلىٰ التباين بين المرأة والرجل ـ مثلاً ـ إلّا من خلال طبيعة العلاقة، وليس من خلال الدور والمسؤولية فالآية:﴿يا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم مِن نَّفسٍ واحدةٍ وخَلَقَ منهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُما رِجَالاً كثيراً ونِساءً واتَّقُوا اللهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرحَامَ إنّ اللهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيباً﴾(١٠). توضح لنا أن الباري عزّوجل، خلق للوهلة الأولىٰ نفساً واحدة لتكون أباً للجنس البشري ثم خلق لها زوجها، وهذان الزوجان شريكان ومتساويان في الحقيقة الانسانية، المهم هو رابطة التقوىٰ والتوحيد، فكل فرد عليه أن يؤدي دوره الخاص ويتحمل مسؤولية أعماله، ومسؤولية الانسان المؤمن هي بالدرجة الأولىٰ، إيجاد مجتمع محايد قائم علىٰ الشريعة، ومن ثَمَّ الانطلاق ـ من خلال ندائه التحرري ـ إلىٰ إبطال كافة

أفكار وعقائد الذين تجاهلوا شخصية المرأة، أو الذين ينظرون اليها باحتقار واستهانة، لأن الانسان المؤمن يرىٰ أن المرأة بإمكانها الصعود في مسيرة الكمال والقرب إلىٰ الله عزّوجل وإدراك الكمالات المعنوية التي هي أسمىٰ مراتب العبودية، حيث يأتي الخطاب إلىٰ أم مريم ﴿وَلَيسَ الذَّكَرُ كالأُنثَىٰ﴾(١١).

كما يقول الإمام الراحل في رسالة له بمناسبة يوم المرأة «للمرأة أبعاد مختلفة، كما للرجل والانسان عموماً، وهذا الوضع الطبيعي، هو أدنىٰ مراتب الانسانية والعبودية، للرجل والمرأة، لكن الانسان يتحرك من هذه المرتبة باتجاه الكمال. الانسان موجود متحرك يبدأ من مرتبة الطبيعة الىٰ مرتبة الغيب ثم الفناء في الأُلوهية»(١٢). نعم، إنَّ الهدف من كل هذه التغييرات في الحياة، هو عرض حقيقة هذا المخلوق العظيم. والهدف النهائي من عالم الطبيعة هو مرحلة الكمال التي تعني القرب إلىٰ الله، وهي مرحلة يجب أن ينالها مخلوق ذو إرادة ومختار هو الانسان، ولا طاقة لغيره من المخلوقات علىٰ ذلك، فالسير إلىٰ الله، وبلوغ الكمال المعنوي؛ خاص بالنفس الانسانية التي يقول عنها الباري عزّوجل: ﴿نَفَختُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ اذ يتدرج من مرحلة الصبا في الطبيعة حتىٰ يبلغ مرحلة الكمال المعنوي، وهذه هي الفطرة والنفس الواحدة ﴿فِطرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيها﴾ و﴿رَبّكَمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَّفسٍ واحِدَةٍ﴾ ولا أهمية للجنس أو اللَّون أو القبيلة بل ﴿إِنَّ أَكرَمكُم عِند

اللهِ أَتقَاكُم﴾ سواء كنتم رجالاً أم نساءً، وبتعبير آخر، المهم هو النفس التي تصل الكمال والتي تكتسب اسم الانسان، سواء كان هذا الانسان رجلاً أو امرأة، المهم إنه خليفة الله الذي يحمل الأمانة ﴿إنَّا عَـرَضْنا الأَمَـانَةَ عَـلَىٰ السَّمواتِ والأرضِ والجَـبالِ فَأَبَـيْنَ أَن يَحـمِلْنَها وأَشْـفقْنَ مـنها وَحَمَـلَهَا الإنسان﴾[١٣].

يقول الاستاذ الشهيد المطهري رحمه الله: «العلم يسعىٰ إلىٰ أن يوصل الانسان إلىٰ معرفة ذاته، كما يوصله إلىٰ معرفة العالم، ولكـن ليس بمـقدور العلم ولا الفلسفة إيصال الانسان إلىٰ هذه المعرفة» بل إنهما يكونان أحياناً عامل غفلة. إذن فالانسان الذي أدرك ذاته، إنسان إلهي يـتمتع بـصفات منسوبة إلىٰ الله تعالىٰ، ولكن بدرجات أقل، كما أنه واعٍ ومختارٌ ومربٍّ وذو إرادة ومسخِّر وخالق ومغيِّر للقدر والتاريخ، وهـذا لا يـتحقق إلّا بـإدراك لأكبر قيمه الانسانية المتمثلة بالنفي والإثبات، أي نفي كل دخيل وكل سيِّئ أو إلغائه، وعصيان المتسلطين والتمرد عليهم، ثم إثبات وإحلال الايجابيات والكمالات وحقائق التوحيد محلها، فـعبارة «لا إله إلّا الله» تـبدو عـبارة صغيرة لكن الإمام يقول: «إنها أعظم من أكثر الاذكار، وأبعادُها المعنوية أكثر من غيرها، والإخلاص في الأعمال هو بمنزلة روح العـمل، والعـامل الذي يميِّز الانسان عـن بـاقي الحـيوانـات هـو روح الانسـان وأبـعادها المعنوية»[١٤].

وهنا أود التطرق إلىٰ الأحكام الواردة في القرآن الكريم وسيرة الأئمة الأطهار كما يبيّنها الإمام الراحل (رض):

١ـ الحقوق الانسانية للمرأة: وهي تلك المتعلقة بخلقها وموجوديتها في عالم الخلق.

٢ـ الحقوق السياسية للمرأة: وهذه يوضحها دور المرأة في الثورة والحرب وخدمة الاسلام.

٣ـ الحقوق الاجتماعية للمرأة: ويمكن دراستها من خلال دور المرأة في المجتمع.

٤ـ الحقوق المتبادلة بين الرجل والمرأة: وهي المتعلقة بالزواج والطلاق ودور المرأة في العائلة.

٥ـ حقوق المرأة في تربية المستقبل ورعايته.

الحقوق الانسانية للمرأة

يقول الإمام في مقابلة صحفية: «لا فرق بين المرأة والرجل، فكلاهما إنسان، أما ما يوجد من فوارق طبيعية بينهما فلا علاقة له بالطبيعة الانسانية لكلا الجنسين»[١٥] وقد جاء هذا الجواب رداً علىٰ سؤال حول حقوق المرأة، حيث أجاب عليه بدقة، مركزاً علىٰ الطبيعة الانسانية للمرأة، وأن المرأة هي إنسان قبل أن تكون آمرأة، ثم يركز علىٰ ان الفوارق الموجودة بين

الجنسين لا علاقة لها بالطبيعة الانسانية، بل انها نابعة من كـون أن المـرأة والرجل يكمل أحدهما الآخر.

إذن فهناك تباين وفروق بين المرأة والرجل، وهـذا مـن مـتطلبات الحياة الطبيعية الصحيحة، فكل من الجنسين يخضع لنظام حقوقي خـاص، يتمتع في ظله بالنعم والحريات الانسانية، وهذا المفهوم يتعارض مع ما يشيع اليوم في العالم، حيث يعتبرون الرجل صاحب سلطة وهيمنة بسبب تفوقه البدني وممارسته للأعمال الصعبة، ويعتبرون ذلك مبرراً لأن يصبح الرجل هو الحاكم، والمرأة هي الخاضعة.

ولعل بعض السيدات يصبحن مصداقاً لما يقوله أرسطو مـن أنّ الله خلق الناس علىٰ صنفين، الاسياد والعبيد، وذلك عندما رأىٰ عبداً يـعطي السيف لسيده ويطلب منه أن يؤدبه، فبعض السيدات يرضخن لهذه الذلة والحقارة، بينما نرىٰ الإمام يؤكد عدة مرات بأن ليس من حق المرأة أن تعتبر نفسها مجرد سلعة، كما لا يحق للرجال النظر إلىٰ المرأة علىٰ أنها سلعة أبداً، بل كان (رض) دائماً يؤكد أن المرأة يجب أن تظل في مقامها الانساني السامي، لأن الله تعالىٰ خلقها كريمة، والعرفان الإلهي هو: ﴿وَلَقَد كَرَّمنَا بَنِي آدَمَ﴾.

إذن، فان الكرامة لم تُمنح لجنس دون آخر، والفـرق المـوجود بـين الجنسين، في القوة أو الخصال الأُخرىٰ، لا علاقة له بـالكرامـة الانسـانية وليست هذه الفروق، عاملاً لضعف أحد الجنسين أو قوة الآخر، وإلّا فـإنّ هناك من الحيوانات ماهي أقوىٰ من الانسان، فهل هي أفضل منه؟

إذن فالنقاط القيّمة في هذه الإجابة هي:

١ـ المرأة ـ إنساناً ـ تتساوىٰ مع الرجل في الخلق.

٢ـ علىٰ المرأة ان لا ترضىٰ بأي ظلم أو تسلط من جانب الرجل أو المجتمع.

٣ـ وجود أفكار وممارسات خاطئة من قبل الرجال تعتبر بحد ذاتها مقياساً مهماً. لذا فان علىٰ الرجال أن يكونوا أحد عوامل إعطاء المرأة حقوقها الانسانية ومنها الحرية.

ولكن ماهو معنىٰ الحرية؟

المؤسف هو أنّ لكلمة الحرية معنىٰ خاصاً في كل ثقافة وفكر، ولكننا عندما نقول «إنّ الطير قد تحرر من القفص»، فاننا نقصد هنا المعنىٰ الحقيقي للحرية، لان الطير خلق للطيران، والقفص سلبه القدرة علىٰ الطيران، ولكن ما المعنىٰ الذي يوحي اليه استخدام هذه الكلمة بحق المرأة؟ ماهي طبيعة المرأة؟ وأين تكمن قدرتها علىٰ التحليق والتكامل؟ وما هو قفصها؟ وماهو مفهوم الحرية بالنسبة إليها؟

لعل من المناسب هنا الحديث عن المفهوم الآخر للحرية، وهو المفهوم الذي يشيعه المستعمرون في عصرنا الحالي لتبرير أعمالهم اللا إنسانية. فهؤلاء يدعون إلىٰ تحرير المرأة وتحلُّلها من كل الضوابط والقوانين التي وضعت لها باعتبارها إنساناً في عالم الخلق. إذن فمن أيِّ شيء يريد هؤلاء تحرير المرأة؟ هل خلقت أسيرة مكبّلة وهم يحاولون تحريرها؟ هذا الادعاء

نفسه مليء بالإهانة لخلقة المرأة، وهذا الخواء في الفكر وما يترتب عليه من اسئلة عديدة، تتضح بجلاء من خلال مقابلة أجرتها صحيفة الغارديان.

تسأل السيدة اليزابيث تارغود: هل المرأة قادرة في ظل الحكـومة الاسلامية علىٰ الاختيار بحرية بين الحجاب الاسلامي واللباس الغـربي ؟ فيأتيها الجواب «النساء يتمتعن بالحرية في اختيار العمل والمصير وكذلك نوع اللباس، ضمن الموازين والضوابط» (باريس ١٩٧٩م). إنَّ إنعام النظر في هذا السؤال والاجابة عليه، يعتبر أمراً ضرورياً الىٰ حدٍّ ما. فمن المؤكد ـ فيما يتعلق بالنهضة الجبارة التي حدثت ـ أن يقوم قائد ثورة كهذه بدراسة أُسس هذه النهضة وجوانبها، ويوضح ملامح جلية لآفاق المستقبل، فالنهضة التي تريد هزَّ أركان البيت الأبيض والكرملين والإطاحة بجبابرة هذا الزمان بسواعد الرجال والنساء الأبطال، هـل يمكـن النـظر الىٰ كـون مسـتقبلها منحصراً بقضية نوع اللِّباس الذي سترتديه المرأة؟ أَ هو حجاب إسلامي ام لباس غربي؟

الجواب الذي قدَّمه الإمام بعدما أدرك مدىٰ خواء السؤال وتفاهته، كان بحراً من العمق الفكري والنظرة المستقبلية الحاذقة حول اهتمام الاسلام بالمرأة والقدرة علىٰ تلبية مطاليب النسـاء وحـقوقهن. فكـلمات المـصير والحجاب ـ والفعاليات ـ تمثل إحاطة كاملة للنساء، بجميع حقوقهن وشؤون حياتهن. وهو ما يُصطلح عليه اليوم بحضور العنصر النسوي في المـجتمع

ودوره المباشر في التخطيط والإدارة. فالإمام يعتبر ذلك من حقوق المرأة البديهية، ويتعدّىٰ ذلك إلىٰ نسخ نظرية كل الذين يعتبرون مصير الانسان مرسوماً من قبل ولايمكن تغييره، حيث ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّىٰ يُغَيِّرُوا ما بِأَنفُسِهِم﴾(١٦). وقد أكد أيضاً أن المرأة تتمتع بحرية الاختيار، وليست مسلوبة الارادة وهذا الجواب، صرخة مدوية يعلن فيها الامام أن حرية المرأة لا تعني تجريدها من حجابها هذا التجريد الذي يؤدي إلىٰ فسادها وضياعها، ولا تعني سلخها من المحيط العائلي، ممّا يؤدي الىٰ انهيار العائلة التي هي لبنة أساسية لبناء المجتمع، ولازجَّها في الاعمال الشاقة المنهكة التي تتعارض وطبيعة تركيبها البدني بل ان حضور المرأة في المجتمع وممارستها النشاطات المختلفة وارتداءها الملابس، يجب ان تخضع كلها للموازين والضوابط الشرعية، فكل إنسان، وبحكم انسانيته، يحتاج إلىٰ حياة هادئة هانئة، وهذا لا يتحقق إلّا بسيادة قانون يلتزم به الجميع؛ إذن فعلىٰ المرأة أن تتحرك وفقاً للموازين والضوابط، ليس في لباسها فقط، بل حتىٰ في آختيار نوع العمل والمصير.

ومعلوم أن لكل مجتمع قانوناً ينبع من عقيدته وفكره، وليس المجتمع الإسلامي خارجاً عن هذه القاعدة، إذ إن القانون الذي يدير المجتمع قانون إلهي يتطابق مع الفطرة البشرية ويدفع الجميع باتجاه الكمال الوجودي للإنسان. النساء يجب ان يلتزمْنَ بضوابط العفة والحياء العام، ويمارسْنَ ـ في

الوقت نفسه ـ دورهن الاجتماعي والسياسي، لأن المرأة التي تدخل المجتمع دون التمسك بالضوابط والقوانين التي سُنَّت من أجل سلامتها وسلامة المجتمع، ستفقد تلك الأصالة والجدية في التأثير والعمل والنمو والكمال، وستتحول بدلاً من ذلك إلىٰ عامل تخريب لهذا المجتمع وهدمه.

الحقوق السياسية للمرأة

أمّا فيما يتعلق بالحقوق السياسية للمرأة، ودورها في الثورة والحرب، وباقي المجالات المتعلقة بمصيرها الأنساني والاجتماعي والسياسي، فها هو الإمام يؤكد حق المرأة في التدخل في الشؤون السياسية، بل يعتبره من واجبها(١٧)، وأكثر من ذلك، نراه يؤكد علىٰ وجوب تدخل المرأة في تصريف الأمور الاساسية للبلاد(١٨). بل يوجب عليها ـ للمحافظة علىٰ الدين الاسلامي والدفاع عنه وعن الشعب والكيان الاسلامي ـ مشاركتها الرجل حتىٰ النفس الاخير، فهو يعتبر الدفاع واجباً يقع علىٰ عاتق كل من يستطيع ذلك دون استثناء(١٩).

وقد لا نجد توضيحاً أكثر حزماً وقوةً للحقوق السياسية للمرأة كما نجده في أحاديث الامام الراحل. والمؤكد ان تدخُّل المرأة في الشؤون السياسية وتقرير مصيرها، ومصير المجتمع، من خلال امتلاك حق الانتخاب والترشيح، والادارة، والعلاقات السياسية الخارجية، والحرب

والسلام، وسنّ القوانين الثقافية والاقتصادية، بحاجة الىٰ توافر عوامل عديدة هي:

١ـ تمتُّع المرأة بالكرامة والشخصية القوية.

٢ـ امتلاك المرأة لإرادتها.

٣ـ امتلاك المرأة لفكر راسخ قوي في المجالات السياسية، وتمتعها بالإبداع والمبادرة.

وقد أكد الامام في أحاديثه علىٰ آمتلاك المرأة لهذه الخصال وأمثالها، حتىٰ أنه اعتبرها في مصاف الرجال، في الدفاع والحرب، بل اعتبر كل الخصال السابقة، من واجبات المرأة الضرورية. وأعطىٰ قيمة كبرىٰ لرأي المرأة، ومنحها الحرية في إبداء رأيها في المجالات العقائدية والسياسية، ومنحها الإرادة والحرية، لتفكّر وتختار الصلاح. وهكذا وجه تحذيراً لكل المغفلين والمنحرفين فكرياً الذين قاموا بحجر المرأة في البيت، وتسليم مقاليد أُمورها بيد الرجل، باسم الدين، وبذريعة صونها من الأضرار الاجتماعية، مذكِّراً الجميع بقابليات المرأة وقدرتها علىٰ إحقاق حقوقها المضيعة.

الحقوق الاجتماعية للمرأة ودورها في المجتمع

خلال لقاء مع الدكتور «جيم كوكلرزفت» أُستاذ جامعة روتكرز الأميركية، قدم الامام (رض) شرحاً وافياً وواضحاً حول الحقوق

الاجتماعية للمرأة، من خلال قوله «من قال إننا نعارض عمل المرأة؟، من قال إن المرأة لاتستطيع ممارسة المهام الرسمية؟ إن الاسلام منح المرأة من الحرية والاحترام مالم تمنحها كل الأديان والعقائد الأخرىٰ. النساء يتمتعن بالحرية داخل المجتمع الاسلامي، لا أحد يمنعهن من دخول الجامعات والدوائر والمجالس النيابية أبداً، بل الممنوع هو ما يأتي بالفساد الأخلاقي سواء علىٰ المرأة أو الرجل فهو حرام لكلا الجنسين»(٢٠). «النساء والرجال أحرار في دخول الجامعات»(٢١). «في النظام الاسلامي، تتمتع المرأة بالحقوق نفسها التي يتمتع بها الرجل، مثل حق العمل، وحق التحصيل العلمي، وحق التملك.. الخ»(٢٢).

ان من جملة الحقوق الاجتماعية للمرأة، حق التحصيل العلمي والنمو والتطور الفكري. وهذا ما كانت المرأة ـ وماتزال ـ محرومة منه في المجتمعات المختلفة، والامام الراحل لا يعتبر ذلك من حق المرأة فحسب، بل يرىٰ أن عليها بلوغ مراحل التحصيل العليا، بالمستوىٰ المتاح للرجال نفسه.

أما تصريح الامام بحق المرأة في ممارسة المهام الرسمية والعمل والتملك، فلأنه يريد مواجهة الأفكار السائدة، والتي ترىٰ حجر المرأة في البيت، ولا تعترف بقدرتها علىٰ ممارسة النشاطات الاجتماعية، وتولّي الأعمال الحسّاسة، ولا تملك حق الأجر مقابل عملها، وبتعبير آخر، إن أصحاب هذا الرأي لا يعتبرون المرأة «إنساناً كاملاً عاقلاً ومستقلاً، ولهذا فهي ليست

مؤهلة للتمتع بحقوقها».

ومع ذلك، نرىٰ الامام يؤكد دائماً علىٰ أن ممارسة المرأة لهذه الحقوق يجب أن يقترن بالتزام العفاف والضوابط الشرعية لأسباب ورد ذكرها سابقاً.

الحقوق المتبادلة بين الرجل والمرأة

في هذا الباب نستشهد بحديث الإمام الراحل، حول إعطاء الإسلام المرأة حق اختيار الزوج الذي تريده، علىٰ أن يكون ذلك في إطار التعاليم الإسلامية. وفي رده علىٰ استفتاء حول امتلاك المرأة حق الطلاق يقول: «لقد رسم الشارع المقدس طريقاً سهلاً أمام المرأة، تستطيع من خلاله امتلاك حق الطلاق، إذ إن بإمكان المرأة أن تشترط عند العقد أن تكون وكيلة عن الزوج في اجراء الطلاق بصورة مطلقة، أي متىٰ ما أرادت، أو بصورة مشروطة، أي عند إساءة الزوج معاملتها مثلاً، أو عند زواجه من امرأة ثانية. وفي هذه الحالة تكون المرأة قادرة علىٰ الطلاق من زوجها بالوكالة»(٢٣).

وهنا يلاحظ ان حديث الإمام حول حق الزواج والطلاق فيه من الصراحة والوضوح ما لايترك مجالاً لأية شبهة أو إبهام، فهو يؤكد علىٰ حرية المرأة في اختيار الزوج الذي يناسبها، كما إنه يؤكد دائماً ـ ضمن اطار

القوانين الاسلامية ـ علىٰ أن الهدف من الزواج ليس فقط سدّ الحاجة الغريزية للبدن بل إن له أهدافاً سامية أهمها إنجاب النسل، أو ما يسمىٰ بالرياحين التي بها يتم بقاء النوع الإنساني، وتقوىٰ الامة الاسلامية، وهذا الهدف لايتحقق إلّا بوعي كامل من قبل الزوجين لهذه الحقيقة، واختيار كل منهما للآخر علىٰ أساس القابلية علىٰ انجاب أطفال صالحين، حيث يقول الإمام الصادق (ع): «الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة»(٢٤)، ولأجل ان تولد هذه الرياحين ـ التي هي أمانة إلهية ـ سالمة البدن، وتخضع للتربية الصحيحة، وتكون قرة عين الرسول (ص) لابدَّ من أن يقوم كلٌّ من الزوجين باختيار الآخر بدقة وعناية فائقتين.

اما قضية الطلاق، فرغم انه أمر مذموم من قبل الرجل والمرأة علىٰ حدٍّ سواء يهتز له العرش، ويغضب له الربُّ، إلّا أنه قد أصبح الحل النهائي للمشاكل المستعصية علىٰ الحل بينهما ـ وخلافاً لباقي الأديان التي سدَّت هذا الباب ـ لم يترك هذا الأمر دون علاج، بل أبقىٰ باب الطلاق مفتوحاً إلّا أنه شدد علىٰ كراهيته وعلىٰ التأني في الإقدام عليه، كما منح المرأة حق في أن نشترط خلال عقد القران، بأن تكون وكيلة عن الزوج في إجراء الطلاق، هذا مايمنح الزوجين صلاحية حل المشاكل، ويساعد علىٰ تدعيم أُسس لاستقرار داخل المحيط العائلي.

حق المرأة في تربية الأطفال

في هذا الباب اخترنا حديثاً للإمام الراحل بمناسبة يوم المرأة يوضح لنا مايتطلبه هذا القسم من البحث.

«يتمتع العنصر النسائي بدور خاص في العالم، يتمثل بمزايا عديدة، وصلاح أي مجتمع وفساده منوطان بصلاح نسائه وفسادهن. فالمرأة هـي الوحيدة القادرة علىٰ أن تربي في حجْرها أفراداً صالحين للـمجتمع، وقـد يكون هؤلاء السبب في سمو المجتمعات، واستقامتها، وفي الوقت نفسه يمكن للمرأة أن تربي أفراداً علىٰ العكس من ذلك تماماً»(٢٥).

فالعلماء والباحثون يؤكدون علىٰ أن شخصية الطفل تتكامل خلال السنوات السبع الاولىٰ من عمره، وخلال ذلك يكون الطفل الىٰ جانب امه، ينهل منها مفاهيم العطف والمحبة والتضحية والبهـجة والنشـاط والتـفاؤل والإيمان والاستقامة وباقي المفاهيم والأخلاق السامية، وقد يحصل من الام عكس ذلك تماماً، إذ قد يأخذ عنها الحقد والحسد، وعدم الإيمان، والبخل والتشاؤم، والحزن والضعف. ومن هذا المنطلق يقول امامنا العزيز إنّ الام هي منشأ الصلاح والفساد.

وفي الختام، لابأس في الاشارة الىٰ هذا الأمر وهو أنني وبحكم كوني ابنة الإمام، ترعرعتُ في ظله، وواكبت بعض مراحـل حـياته، يمكـن أن أخلص إلىٰ هذه النتيجة وهي مايقوله الإمام الراحل، كـانت له مـصاديق

عملية، من خلال ممارساته اليومية، فهو يقول ما يؤمن به، ثم يطبق ذلك قبل غيره، وما كان يعتقده، ويقوله حول شخصية المرأة وحقوقها، كان يترجمه عملياً في ممارساته وسلوكه، فهو الذي أرسل آمرأة ضمن الوفد الذي حمل رسالته إلىٰ «غورباتشوف» وهو الذي طرح مفاهيم المساواة وأكَّد عليها، بصدقه وحزمه المعهودين ولم يعتد التعامل مع أحدٍ بموقفين بما فيهم النساء، ولهذا فانه عندما كان ينادي بالمساواة في الحقوق بين المرأة والرجل، فإنه كان يلتزم ذلك عملياً أيضاً.

أُؤكد علىٰ نقطة مهمة، وهي أنَّ الإمام الراحل، كان صريحاً وواضحاً في كلامه، ولم يقل شيئاً للمجاملة أو بهدف كسب الشهرة، بل إنه كان يستهدف فيما يقوله رضا الله وحده، وهو هدف ملأ كل وجوده وجوارحه. وقد كان حريصاً علىٰ كسب مرضاة الله لدرجة يصعب تصديقها، وقد لا يكفي مقال واحد لتوضيح ذلك. فقد وجَّه في أحد الايام نداءً الىٰ أبطال الإسلام في الجبهات، لكنه أمر بإعادته إليه قبل البث، واجرىٰ عليه تغييرات بسيطة، ثم أعاده، وعندما استفسرت منه عن السبب قال: «لقد كتبت للمقاتلين ان كل همّي وجهدي منصبٌّ علىٰ الدعاء لكم، لكنني تنبهت فيما بعد إلىٰ أن هذا الكلام لايُطابق الواقع مئة في المئة، لذلك غيرت عبارتي وجعلتها: إن أكثر همي منصب علىٰ الدعاء لكم» وهدفي من ذكر هذا المثال هو أنّ الإمام الراحل كان حديثه وقوله مطابقين لما في أعماقه بشكل كامل

لدرجة ان اعداءه لم يجرُؤوا علىٰ اتهامه بالازدواجية أو الرياء.

لقد كان صادقاً في ما يطالب به للمرأة، كصدقه في كل شيء، ولم يكن في حديثه ولا مثقال ذرة من الرياء أو المجاملة، وأود هنا ـ بحكم علاقتي العائلية بالامام ـ التطرق إلىٰ مصاديق عملية، وليست عبارات كلامية فقط، خاصة فيما يتعلق بسلوكه في البيت، وعلاقاته القائمة علىٰ أساس التفاهم والمرونة، والنهوض بالمسؤوليات الناجمة عن الثقافة التي أشاعها في البيت، خاصة ثقافة حرمة أهل البيت، وكذلك روح المسامحة مع الاصدقاء والمقرّبين.

اذ تنقل الوالدة أن الإمام قال لها بعد الزواج: «إن ما أُريده منك هو التزام الواجبات الشرعية، والابتعاد عن الحرام فقط، ولا دخل لي في ماتقومين به من المستحبات والمباحات أما في الشؤون الخاصة، فإن لك في ذلك كامل الحرية». فالإمام لم يطلب من زوجته إلّا التزام الفرائض الاسلامية فقط، ولم يكن يتدخل في الشؤون الخاصة بالزوجة، بل أنه لم يكن يطلب منها حتىٰ جلب قدح ماء له. بل كان يكتفي بأن يقول لها: «اطلبي لي الشيء الفلاني».

كما تنقل الوالدة أيضاً إنه كان يساعدها في رعاية أطفالها الصغار، حيث كان يتولّىٰ رعاية الطفل مدة ساعتين في الليل، ريثما تأخذ هي قسطاً من النوم ويظل يتناوب معها علىٰ رعايته حتىٰ الصباح، وتقول الوالدة:

ليتني كنت أستطيع تصوير تلك المشاهد من تعامله مع الزوجة والأطفال والمقرَّبين.

واليوم فإن علىٰ أتباع الإمام الراحل، والسائرين علىٰ نهجه أن لايدعوا هذه الشعلة الوهاجة تخبو، كما ان علىٰ كل الاخوة أتباع الإسلام والإمام، أن يعملوا جاهدين علىٰ منح المرأة حقوقها التي نص عليها الإسلام، وأكد عليها الإمام، وأن يتنبهوا إلىٰ أن التبعات الناجمة عن عدم التزام ذلك ستطالهم هم والمجتمع كله، وستفقد العائلة هناءها واستقرارها اللذين هما من مستلزمات التربية الصحيحة لجيل المستقبل.

هوامش الفصل السادس

١- سيماى زن در كلام إمام خميني، باللغة الفارسية، ص ١٣٥.
٢- طليعة انقلاب اسلامي، باللغة الفارسية، ص ٢٩٧.
٣- بيام انقلاب، باللغة الفارسية، ص ٥١.
٤- المصدر السابق، ص ٥٨.
٥- صحيفة نور، باللغة الفارسية، ج ١٢، ص ٧٢.
٦- طليعة انقلاب اسلامي، باللغة الفارسية، ص ١٠٠.
٧- صحيفة نور، ج ٦، ص ١٩٤.
٨- المصدر السابق، ج ٨، ص ١٦٢.
٩- المصدر السابق، ج ٦، ص ١٩٤.
١٠- سورة النساء، الآية: ١.
١١- سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
١٢- المصدر السابق، ج ٦، ص ١٨٥

١٣- سورة الاحزاب، الآية: ٧٢.
١٤- بيام انقلاب، ص ٥٢.
١٥- مقابلة مع الصحيفة الهولندية «دي ولت غرانت» من كتاب «صحيفة نور»، ج ٣، ص ٤٦.
١٦- سورة الرعد، الآية: ١١.
١٧- سيماى زن در كلام إمام خميني، خلال استقبال الامام لجمع من أعضاء مجمَّع لنكرود التعليمي.
١٨- المصدر السابق خلال استقباله الامام لجمع من قادة الحرس.

١٩- المصدر السابق.
٢٠- حديث لمحلل صحيفة «لوس انجلس تايمز» الاميركية.
٢١- بتاريخ ٥٨/٨/٢٠.
٢٢- صحيفة نور، ج ٤، ص ٣٣.
٢٣- فتوىٰ الإمام حول طلاق النساء، سیمای زن در كلام إمام خميني.
٢٤- وسائل الشيعة.
٢٥- سیمای زن در كلام إمام خميني.

المصادر والمراجع

١ـ الكتب العربية:

القرآن الكريم

ابن ابي طالب، الامام علي، نهج البلاغة، تنظيم صبحي الصالح.

الخميني، الامام آية الله، الآداب المعنوية للصلاة، ترجمة السيد الفهري.

الخميني، الامام آية الله، تحرير الوسيلة، قم، دار الكتب العلمية.

الخميني، الامام آية الله، الجهاد الاكبر.

الخميني، الامام آية الله، الحكومة الاسلامية، طهران، ط المكتبة الكبرىٰ.

العاملي، الحر، وسائل الشيعة، بيروت، دار احياء التراث.

كاظم، جواد، القيادة الاسلامية، ط ١.

الموسوي، السيد محسن، آفاق المستقبل في العالم الاسلامي، بيروت، دار المنهل، ط ٢، ١٩٨٧م.

وزارة الارشاد، مختارات من اقوال الامام الخميني.

٢ـ الكتب الاجنبية:

پيام انقلاب.

سيماى زن در كلام امام خمينى.

طليعه انقلاب اسلامی.

٣ـ الدوريات:

كيهان العربي، طهران.

مجلة رسالة الاسلام، باريس.

مجلة المستقبل العربي، بيروت.

الفهرس

الفصل الثالث

تأملات في الفكر السياسي والحركي عند الامام الخميني

الفصل الرابع

الامام الخميني والقضية الفلسطينية

الفصل الخامس

منهج الامام الخميني في احياء القيم الاسلامية

الفصل السادس

الامام الخميني وحقوق المرأة في الاسلام

قواعد النشر في كتاب التوحيد

كتاب التوحيد، سلسلة دورية تصدر عن مجلة التوحيد، ينشر الدراسات الجادة التي تتوافر علىٰ الشروط التالية:

١ ـ أن تكون المادة منسجمة مع الخط العام للسلسلة، من حيث التخصص والتوجه الفكري والثقافي. وتفضل النتاجات التي تعالج القضايا المعاصرة، والمستقبلية، الحيوية والملحة، وذات الاثر الواضح في حركة الثقافة الاسلامية، او التي تعالج التحديات والاشكاليات التي تواجه الأُمة الاسلامية في شتىٰ المجالات.

٢ ـ مراعاة الجانب المنهجي والعلمي، بعيداً عن لغة الاستعراض، وتحمل افكاراً جديدة.

٣ ـ اعتماد الاصول العلمية المتعارفة في الكتابة، كالدقة في استعمال المصادر والمراجع، وتثبيتها بعناوينهاالكاملة، واسماء كتّابها، وارقام

صفحاتها، واسم الناشر، ومكان النشر، وتاريخه، مع قائمة بالمصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش.

٤ ـ لا تزيد المادة عن ٣٠٠ صفحة، ولا تقل عن ٢٥٠ صفحة (فلسكوب) بالنسبة للمواد المكتوبة بخط اليد، وصفحة (كوارتر) بالنسبة للمواد المطبوعة على الآلة الكاتبة. علىٰ ان تكتب بخط واضح وعلىٰ وجه واحد من الصفحة وبين سطر وآخر.

٥ ـ يجب ان لا تكون المواد منشورة سابقاً او مقدمة للنشر في مكان آخر.

٦ ـ من حق قسم الكتاب اجراء تعديلات على المادة واختصار بعض فقراتها، او الطلب من الكاتب القيام بذلك.

٧ ـ يمنح الكاتب مكافأة رمزية، علىٰ وفق ضوابط النشر، او حسب العقد المبرم بين الطرفين، بعد موافقة رئيس التحرير على نشر المادة، علماً بان تاريخ النشر يخضع للضوابط الفنية.

٨ – يرفق مع مخطوطة الكتاب:

أ – ملخّص للكتاب يشتمل علىٰ أهم ماورد فيه من ٥ – ١٠ صفحات.

ب – نبذة عن حياة الكاتب العلمية، مشيراً فيها الىٰ أهم اعماله، مع صورة فوتوغرافية له.

صدر من سلسلة كتاب التوحيد

١ـ الـدولة الاسـلامية... دراسـات في وظائفها السيـاسية والاقـتصـادية. الشيخ محمد علي التسخيري

٢ـ الاسلام والغرب اشكالية التعايش والصراع. الدكتور سمير سليمان

٣ـ دراسات في الفكر السياسي للامام الخميني الشيخ محمد مهدى الآصفي وآخرون

▣ العدد القادم

تأملات في الفكر السياسي الاسلامي. السيد محمد حسين فضل الله